مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع - القاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٧٨ — مارس سنة ١٩٥٩ — المجلد الثلاثون

فهرس

صفحة

٦٨١ الأزهر كدين الله ولغة العرب لا يتجزآن
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٨٥ لغة التعبير : اللغة العربية
للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٨٩ منهج فقهي سليم : أصول المعاملات الحديثة
للأستاذ محمد محمد المدني

٦٩٧ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
للأستاذ محمد عرفه

٧٠١ الإسلام وحاجة الإنسانية إليه
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٧٠٧ ابن سهل الأندلسي
للأستاذ كمال الدسوقي

٧١٢ نظرية ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض عند مفكري الإسلام
للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

٧١٨ الحركة الموسوعية في الإسلام
للأستاذ حسين علي الدافوقي

٧٢٤ أسرار القسم في القرآن الكريم
للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٧٢٧ التعليم الديني في السودان
للأستاذ علي العماري

٧٣٢ موسيقى القرآن بين الترتيل والتلحين
للأستاذ أحمد الشرباصي

٧٣٩ عصر نبذ الإله الواحد فوقع في شرك آلهة شتى
للأستاذ فتحي عثمان

صفحة

٧٤٨ السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة
بقلم م . ح

٧٤٤ الإسلام والفلسفة
للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

٧٦١ رسالة وجوابها : بين إمام الشيعة وإمام السنة

٧٦٥ دور من أدوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس
للأستاذ عباس محمود العقاد

٧٧٢ يارسول الله : أنت ، أنت !
للأستاذ محمد علي الحوماني

٧٧٤ الإسلام ونفسية المسلم [كتاب] تأليف أندريه سرفييه
عرض وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

٧٨١ آراء وأحاديث : الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان ويهنئ المسلمين به ، تحقيق صحفي لدى فضيلة الأستاذ الأكبر ، موجز الحديث الذي دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة ، الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأكبر على شباب آسيا وإفريقيا .

٧٩٤ الأدب والعلوم . . . . . .

٧٩٩ الكتب : تاريخ الجامع الأزهر ، سلسلة الثقافة الإسلامية . . . . . .

٨٠٣ أنباء الأزهر . . . . . .

مكتبتنا العربية

الأزهر كدين الله ولغة العرب لا تختلف

بقلم أحمد حسن الزيات

لقيني منذ أيام في طريق إلى إدارة الأزهر أستاذ جامعي يعرفه الناس بعداوته للثقافة الإسلامية، وكراهته للآداب العربية. فقال لي وهو يقلص شفتيه عن ابتسامة ذات معنى: ماذا عسى أن تصنع لجلة الأزهر وهي إن كانت لسانا لحاله فلا بد أن تكون مرآة لجموده وصورة لتخلفه؟ وما دامت الثقافة الغربية قد نسخت الثقافة الشرقية، واللغة العامية قد هزمت اللغة الفصحى، فإن الأزهر وهو مدين بوجوده وبقائه للدين واللغة لم يعد إلا طللا من الأطلال وأثرا من الآثار، والطلل يوقف عليه للذكرى، والأثر يحتفظ به للتاريخ؟

فقلت له وأنا أجزيه على ابتسامة غاضبة بابتسامة عاتبة: إن رأيك في ثقافة الإسلام وحضارة العرب ورسالة الأزهر قد يكون رأي الكثرة ممن فتنت قلوبهم واقعية الفكر في أوربا، وسحرت عيونهم مادية العلم في أمريكا فلم يروا فيه سمة من رسالة الله الخالدة التي تجدد فيها كل دين، وتكمل بها كل شرع، فلم يدركوا منها إلا ما يدرك الأرمد من ضوء النهار!

ولكنك من دون هؤلاء لم تؤت من قبل الجهل لأنك عالم، ولا من قبل الإلحاد لأنك مؤمن، وإنما أتيت من قبل التمرد الطاغي على القديم لقدمه لا لفساده، ومن تعصبك العنيد للجديد لجدته لا لصلاحه!

إنك مصاب بالألرجيا الأزهر، لأنه مادام، دام التراث الغالي وتمثل الماضي المجيد، والألرجيا مرض لا يزال مجهول السبب فلا طب له ولا حيلة فيه. وإذن يكون جوابي عما سألت رداً لا يقطع اللسان، ومناقشتي إياك فيما قلت جدلا لا يقنع المكابر. وإنك لتعلم عن طريق اعتقادك بالقرآن وعلمك بالتاريخ، أن الدين قوام الجماعة الإسلامية، وأن اللغة نظام القومية العربية، وأن رعاية الدين وحماية اللغة هما رسالة الأزهر. ومادام الإسلام يتجدد بحكم طبيعته على الزمن، واللغة تتسع بفضل مرونتها على الحضارة، فإن الأزهر لابد أن يتجدد مع الدين ويتسع مع اللغة وإن لم يفعل فما بلغ رسالته.

ولعلك لا تنسى أن الأزهر منذ اضمحلت الخلافة، واستعجمت الثقافة، وخشع السلطان واختلف اللسان وكاد يرفع القرآن، كان وحده هو المنار الذي أضاء الطريق، والحصن الذي حفظ التراث، والمنتجع الذي أوى إليه طلاب

مكتبتنا العربية

الفقه والعلم من جميع أقطار الأرض ، فوجدوا فى كنفه العيش والأمن والكتاب والقلم ، ثم صدروا عنه صدور الشعاع عن الشمس ، يحملون نور الله إلى كل قلب ، وحرارة الإيمان إلى كل نفس ، وكان منهم الزعماء فى كل نهضة ، والقادة فى كل ثورة .

كان الأزهر منذ زحف الاستعمار إلى الشرق طليعة الجهاد القومى فى ميادينه المختلفة ، فلم يتخلف أبداً عن مكانه من الصف الأول .

كان ينبه الوعى الغافى ، ويجمع الرأى الشتيت ، ويصل ما تقطع من الأسباب بين ديار الإسلام وأقطار العروبه .

وما أحسبك تجهل أن العرب حاولوا الوحدة مرتين فى تاريخهم الطويل : مرة فى القرن السادس بعد أن فرقتهم العصبية الجاهلية فنالوها بالإسلام ، ومرة فى القرن العشرين بعد أن مزقتهم النعرة التركية فأوشكوا أن ينالوها بالأدب . والدين والأدب يملكهما الأزهر جميعا لأنه وريث النبوة وخليفة الدعوة .

تقول : إن الزمن قد استحال وإن العالم قد تغير ، وإن العلم المادى قد انبسط سلطانه على الأرض ، وإن الوسائل التى كانت تغنى بالأمس ، أصبحت لا تغنى اليوم ، وأنا لا أنكر أن سنة الله فى الكون أن يتقدم دائما وأن يترقى أبدا ، ولكنى أنكر ألا يكون للوسائل الروحية من دين وأدب ما كان لها قبلا من الغناء فى جمع القلوب والشعوب على المحبة والتعاون ؛ فإن نور الدين الذى يضىء البصيرة ، كنور الشمس الذى يضىء البصر ، لا يغير من طبعه تطور الزمن ولا اختلاف الناس ، وكلما تشعبت الأمور وتفرقت السبل واستبهمت المسالك افتقد الركب النور الإلهى الذى يهدى إلى سبيل السلام ويرشد إلى طريق الحق .

وهذه النهضة العامة التى تهز الوطن العربى هزا أحوج ما تكون إلى الدين ينفحها بروحه حتى لا تضرى ، وإلى الأدب ينضحها بنداه حتى لا تجف . ونحن العرب لا نستطيع أن نفصل بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذى أصيبت به الحضارة المادية الغربية ، وإيمانا بأن لنا رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .

أنا معك فى أن انفلاق الذرة فى الغرب دفع العالم إلى الأمام بسرعة الصاروخ ، وأن انفجار الثورة فى مصر رج النيام فى الشرق رجة الزلزال ، وأن الأزهر لا يستطيع أن يواكب ركب الإنسانية الثائر الطائر ما لم يركب مركبه ويسرع اسراعه ، ولكن من ذا الذى قال إن السرعة التى تنتقل بها الروح أو الفكرة أبطأ من السرعة التى يصل بها الصوت أو الضوء ؟ إن الأزهر لا بأس عليه ألا يرسل الطائرة وألا يطلق القذيفة ، فإن دعوته وكلمته تنفذان من أقطار السموات

مكتبتنا العربية

والأرض قبل أن تنفذ منها الطائرة النفاثة والقمر المصنوع .

على أن الأزهر يعتريه مايعترى الكائن الحى من نقص الكمال وضعف القدرة ، فقد بلغ فى العصر المملوكى ذروة مجده العلمى وسلطانه القومى ، ثم أدركه فى العصر التركى ما أدرك العرب جميعا من الغفوة التى أشبهت الموت فنام على موروث علمه ومأثور طريقته ، حتى صحا على مدافع نابوليون تقصف أبواب القاهرة ، فبعث فى مصر روح المقاومة وتبوأ منها مكان القيادة .

ورأى الذين زاروا الغرب من أهله أن فى أوربا علما أوسع من علمه ، وتعليما أرقى من تعليمه ، ففكروا فى إصلاحه ليظل مرجع الأمر للمسلمين والعرب . وكان من بين أبنائه النابغين النابهين ثلاثة انفردوا بمحاولة هذا الإصلاح ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ بسياسة الأزهر ، يجريه على هواه وينزله على حكمه ، فقضى محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضى المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم بغزوة من نزق فاروق .

وكان هنالك رجل رابع جمع إلى عنفوان الشباب عنفوان الفكر ، فأدرك بحاسة المصلح الموهوب ما أدركوا من سوء الحال فى الأزهر فاتجه بعقله وقلبه إلى المشاركة فى إصلاحه .

اتبع الأول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن مقصده . وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده . وعاون الثالث وكان يرتمض أسى على كيف يده .

وكان هو وثلاثة من إخوان الرأى يجتمعون فى دار (الرسالة) فيتشاكون ما حاق بالأزهر من ركود ريحه وانحسار ظله ويشفقون على ينبوع الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الدخيل . وكانوا كسائر طلاب الإصلاح يرصدون الأفق الغائم ليرقبوا القائد المنتظر الذى يبعث الحياة فيه ويدرأ الفساد عنه . وكان هذا الرجل قد تفرد بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط ، وسن المناهج ، وكتب الرسائل ، وحبر المقالات ، وقدم التقريرات ، ثم جعل للإسلام النقى الواضح قولا فى كل مسألة ، ورأيا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد ، تارة بلسانه فى الإذاعة ، وأخرى بقلمه فى الصحف .

ذلك الرجل الرابع هو الشيخ محمود شلتوت الذى اختارته (ثورة الإصلاح العام) شيخاً للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالى من صف القيادة العامة .

وتلك مشيئة الله يا أستاذ ليدوم نور الهدى مشرقا من هذه المنارة ، ويظل دين الله روحاً لهذه الحضارة .

أحمد حسن الزيات

مكتبتنا العربية

لغة التعبير: اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر الذى نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ؛ لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ، ومتى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما فى غير اكتراث ، فقد بدت لنا حقيقة جلية سافرة ، وكان لسان الحال فيها ، بحق ، أصدق من لسان المقال .

واللغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا الذى يقال عن الشاعر البليغ ؛ لأن اللغة هى قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها ، فإن لم نتعرف منها حقائق أحوالهم فما هى بأداة وافية بوسائل التعريف .

فليس من الغلو فى وصف اللغة المعبرة أن يقال إنك تضع معجمها بين يديك فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها ، ولم تدع لمراجع التاريخ والجغرافية غير تفصيلات الأسماء والأيام .

واللغة العربية فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .

ونبدأ بالمجتمع نفسه فنعلم أن المجتمع العربى فى قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية. فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا . والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تنفصل معا . والفرقة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفىء إلى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى محال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال أو لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا أطلقت أولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا

مكتبتنا العربية

قوله تعالى « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسخر قوم من قوم » . . . ومنه قول زهير :

وما أدرى ولست أخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء

وإذا لاحظنا هنا المعنى فى دلالة أسماء الأمكنة فهى دلالة مطردة على هذا المثال فى أكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها وإليها . .

فالمنزل حيث ينزل الإنسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والمأوى . وكذلك المسافة بين مكان ومكان إنما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء إلى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بعادته على عيشة « المشاع » فى البادية الأولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصوراً على بانيه ، خلافا للبيوت والخيام التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان قبل كل شىء مامعناه ؟ معناه من « التمكن » خلافا للنقلة والمنتقل بغير استقرار .

ويلاحظ هنا أيضاً فى الكلمات التى تدل على العشير أو على الرابطة الاجتماعية بين الآحاد .

فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبته الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدو » للخصم الذى يعدوك أو يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى ، أو نتقراه . فى المعانى المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر ، ونطلق الأثر على المخلفات وهى من بقايا المواطئ والأقدام .

وقد قلنا : نتتبع ، ونتقرى ، وقلنا المجاز وكلها مما لوحظت فيه هذه الدلالة فى أصولها .

فالتتبع من السير وراء الراحل ، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره ، والمجاز من العبور . وما التعبير نفسه فى أصوله؟ هو العبور .

ولابد من مناسبة قريبة أو بعيدة تنتهى إلى هذه الدلالة فى الألفاظ المعبرة عن الجماعات والأمكنة .

فنحن نقول « الجيش » من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو المكان الواحد .

ونقول اللغويون والرابع أن الأصل فيه يرجع إلى « الجند » وهى الأرض الغليظة التى لايسهل طروقها ، كأنهم استعاروه لمناعة المكان الذى يحميه المقاتلون المسلحون أو المستعدون للقتال .

مكتبتنا العربية

ونعتقد أن النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لكل دراسة من دراساتها ، سواء منها مايراد للتاريخ أو لتحقيق أصالة الكلمات أو لتقرير قواعد « البلاغة » ... وهى كذلك من التبليغ أو البلوغ إلى المكان .

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم فى ظاهر الأمر أهى من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها ، فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة ، فلا يطول بنا العناء فى الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن إليه .

قيل - مثلا - إن كلمة « القلم » مأخوذة من « كلموس » اليونانية وعز الاستناد فى هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه فى مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين .

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة فى اللغة العربية ، فنرى أنها أصيلة فى هذه اللغة بهذا المعنى ، ونتقصى المادة فنعلم أنها لا تنتقل بجملتها من لغة إلى لغة . فهذه القاف واللام وما يتوسطهما مطردة فى الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قحم وقرم وقسم وقصم وقضم وقطم وقلم وهى آخرها فى ترتيب الأبجدية .

ونعود إلى الشىء الذى « يقلم » فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ويتخذون منه القلامات ، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أمام لفظ أصيل فى لغة العرب ، لا ينقلونه من لفظ آخر فى لغة أجنبية .

وأذكر أن طبيباً فاضلا لقيني فى الإسكندرية فأخذ على بعض ما كتبت يومئذ عن القانون ، أن كلمة « القانون » دخيلة فى العربية وأن « الشريعة » أحق منها بالاستعمال فى كتابتنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا .

قلت للطبيب الفاضل : إن الكلمة من بضاعتنا التى ردت إلينا ، وأن القانون اليونانية ليست هى إلا القناة بصيغة التصغير عندهم ؛ لأن الغالب فى لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصبة التى توضع بها الحدود وتقاس بها المواقع . وهم يطلقون فى اللغات الغربية كلمة رولر Ruler على المسطرة التى ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذى يقيم الأحكام . ونحن فى الشرق نستخدم القصبة للقياس والفصل بين المواقع . وتسمى عاصمة الحكم « قصبة » فى بعض اللهجات .

فالقانون Canon تصغير للقناة Cane لأن القناة الصغيرة هى التى تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم ، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو « قناتنا » قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم فى صيغة التصغير ، ولسنا نجزم بأن كلمة Cane مأخوذة من العربية بغير

مكتبتنا العربية

خلاف ، ولكننا نجزم بأن « القناة » كلمة لم يأخذها العرب من اليونان ؛ لأن الأقنية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة فى حياة العرب لا تستعار .

* * *

وإن من أنفع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن نعول عليها حين تتشابه الكلمات باللفظ ، أو تتقارب بالمخارج بين لغتين أو لغات عدة. فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلعلنا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة فى لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها .

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربى ، يرى أن كلمة المرج فى العربية مأخوذة من كلمة « المرغ » الفارسية ، فكان مما يشككنا فى هذا الظن أن مادة « مرج » و « مرغ » و « مرت » فى اللغة العربية متقاربة فى مدلولها وأنها على صلة بالمرع وبالمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى فى بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم المرغ من العرب فعلينا أن نجزم بأن العرب أصلاء فى كلماتهم غير مستعيرين .

وهناك كلمات تتشابه فى مخارجها بين أبعد اللغات ؛ لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التى تنقل الأصوات كما تقع فى الآذان ، وقد نفهم من تكرر المادة فى أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت فى اللغة ، ولم تنتقل إليها بعد تداولها فى لغة أخرى .

ففى الانجليزية يدل لفظ «كت» على القطع كما يدل عليه لفظ «كسيه» باللغة الفرنسية. والمشابهة بين اللفظين وبين « القط » بهذا المعنى فى اللغة العربية ظاهرة للسماع . ولكن القاف والطاء وما يثلثهما فى لغتنا شائعة فى الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قطب وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والدال والقاف والصاد تؤدى معنى قريبا من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة فى أمثال هذه الألفاظ .

* * *

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى فى المقارنة بين الكلمات واللغات تحريا لأصولها ، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها ، ولكن البحث على هذا المثال ضرورة لا محيد عنها فى اللغات التعبيرية واللغة العربية فى مقدمتها ؛ فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن فى اللغة العربية كلمة يسارع الخلاف بين الباحثين فى الاستدلال على هذا النحو إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالضاد ، وأولها كلمات الفصاحة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب ؟

عباس محمود العقاد

مكتبتنا العربية

منهج فقهي سليم في أصول المعاملات الحديثة

للأستاذ محمد محمد المدني

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة في حياة الناس تصول فيها وتجول ، ولها في كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها في غيره .

أما الميادين الثلاثة فهي :

١ — ميدان العقائد .

٢ — وميدان العبادات .

٣ — وميدان المعاملات .

وأما أسلوبها في كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب :

١ — أسلوب المخبر الواصف .

٢ — وأسلوب المنشئ المجدد .

٣ — وأسلوب الناقد المهذب .

* * *

بيان ذلك :

١ — أن العقائد التي يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي ، وهي تفترق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي تشرع للناس بعد أن لم تكن ، وتتغير أحيانا بتغير الزمان والمكان ، وتقبل النسخ في عهد الرسالة .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا : إن العقائد من باب الأخبار ، والأخبار لا تقبل النسخ ؛ لأن النسخ هو الإزالة والتغيير ، والواقع يخبر عنه أو يوصف ، ولكنه لا يغير ولا يرفع .

فالألوهية وصفاتها حقائق ثابتة ، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة . والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة ، والجنة والنار والنعيم والعذاب . كل ذلك حقائق ثابتة ، ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها ، والاستدلال عليها ، والإقناع بها ، فلا هو بالذي أنشأها ، ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها وينسخها .

ومن هنا قالوا :

* إن العقائد لا تقبل النسخ .

* ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

* ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد .

مكتبتنا العربية

٢ — أما العبادات فهى تختلف عن العقائد فى أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى ، ورسم حدودها ، وهيأها على صور خاصة ، وطلب من عباده أن يعبدوه بها .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص .

والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات فى زمان مخصوص .

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها .

وهكذا . . .

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أى ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها ، وإنما هى صور ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن ، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود ، فمن حقه أن يشرع لعباده مايعبدونه به ، وعليهم أن يرجعوا إليه فى معرفة ذلك كما وكيفا ومكانا وزمانا .

ولهذا يقول أهل الشريعة فى إحدى قواعدهم المشهورة : « لايعبد الله إلا بما شرع » .

فالأصل فى العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع مايدل على طلبها ، ويبين لنا هيآتها ورسومها الخاصة ، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده ، أو يتصرف فى صورة من صور العبادة المشروعة ، ثم يعبد الله بذلك ، وفى هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » (١) .

وبهذا الأصل أبطلت البدع فى الدين والعبادات وما يتصل بها ، فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله ، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه ، ولو كان مظهره طاعة وقربة ، فإنه مبتدع متلاعب بالدين .

ومثل ذلك كما لو قال قائل : سأصلى الظهر خمسا بدل أربع ، أو أصلى المغرب أربعا بدل ثلاث ، أو أجعل الركعة الواحدة ذات ركوعين بدل ركوع واحد ، أو أتجه إلى بيت المقدس ، أو إلى المدينة بدل اتجاهى إلى الكعبة ، أو أصوم شعبان بدل رمضان ، أو نحو ذلك ، فكل هذا افتئات على الدين ، وعلى حق المعبود فى أن يرسم طقوس عبادته ، ولا يرتضى سواها .

* * *

٣ — وأما موقف المشرع فى ميدان المعاملات ، فإنه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه فى كل من ميدان العقائد ، وميدان العبادات :

إن الشريعة ليست هى التى أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل ، ولكنها

(١) الآية ٢١ من سورة الشورى .

مكتبتنا العربية

جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها ، فكان لها موقف منها ، غير موقف الإنشاء والرسم ، وغير موقف الإخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الإقرار ، أو التعديل ، أو الإلغاء ، وهو الذى سميناه فى أول هذا البحث « أسلوب الناقد المهذب » .

وهى لا تتدخل فى هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمى مثلها ومبادئها التى جاءت بها ، من العدل والتيسير ، والرحمة ، ودفع أسباب التشاحن والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

إن هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الإسلامى عن موقف النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم إلى المدينة ، وكان فيها مجتمع ، وفيها أسواق ، ولها صور معينة فى البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن ، والهبة ، والعمرى ، وغير ذلك .

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى فى شىء من ذلك اية او ايات تضيف إلى ما كان لونا آخر لم يكن .

وإنما كان موقفه موقف الناقد المهذب فقط : هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر فيها ؛ فهى مقبولة ، ولا اعتراض عليها . وهذه المعاملة فيها ضرر بين ، أو تؤدى إلى الشحناء والبغضاء ، أو تنافى الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى ؛ فهى غير مقبولة .

وهذه المعاملة ليست خيرا كلها ، وليست شرا كلها ، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام ، وأخذا بجانب التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم ؛ فلا بأس من الترخيص بها ، والنزول على حكم العرف والمجتمع فى قبول التعامل عليها .

هذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أى موقف الإسلام ، من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه :

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا فى كتابه « أعلام الموقعين » ذكر فيه أمثلة من إقراره صلى الله عليه وآله وسلم لأفعال الناس فى المدينة ، كإقراره إياهم على تجاراتهم التى كانوا يتجرونها ، وهى على ثلاثة أنواع : تجارة الضرب فى الأرض ، وتجارة الإدارة ، وتجارة السلم ، وكإقرارهم على صنائعهم المختلفة من نجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، وكإقرارهم على ما يتعاملون به من الدراهم ، وربما كان عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب

مكتبتنا العربية

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا خلفاؤه مدة حياتهم دينارا ولا درهما ، وإنما كانوا يتعاملون بما ضربه غير المسلمين [١] .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات نهى عن بعض آخر ، فقد صح أنه نهى عن بيع الملامسة ، وعن بيع المنابذة ، وعن بيع الحصاة ، وعن بيع حبل الحبلة ، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلمس الرجل الثوب ولا ينشره ، أو يبتاعه ليلا دون أن يعلم ما فيه .

وسبب تحريمه الجهل بالصفة .

وصورة بيع المنابذة أن ينبذ كل واحد من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل منهما ويقول كل واحد منهما : هذا بهذا .

وصورة بيع الحصاة أن يقول المشترى أى ثوب وقعت عليه الحصاة التى أرمى بها فهو لى . وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا وقعت الحصاة من يدى فقد وجب البيع ، وهذا قمار شبيه بما يحدث الآن فى بعض الأسواق والموالد .

وأما بيع حبل الحبلة ففيه تأويلان : أحدهما أنها كانت بيوعا يؤجلونها إلى أن تنتج الناقة مافى بطنها ، ثم ينتج مافى بطنها ، والغرر من جهة الأجل فى هذا بين ، وقيل إنما هو بيع جنين الناقة ، وهذا من باب النهى عن بيع المضامين والملاقيح ، والمضامين هى ما فى بطون الحوامل ، والملاقيح ما فى ظهور الفحول .

فهذه كلها بيوع جاهلية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [٢] .

وقد يكون النهى فى بعض الأحيان واقعا على سبيل المشورة فلا يعد من باب التحريم ولكن من باب الكراهة .

ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال : كان الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، فإذا جذ الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع أصاب الثمر الزمان ، أصابه من ، أصابه قشام ، ومراض ، لعاهات يذكرونها ، فلما كثرت خصومتهم عند النبي قال كالمشورة يشير بها عليهم . لا تبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها

وبهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز بيع الثمار قبل أن تزهى ، فقالوا إن النهى فيه على طريق المشورة فقط لا على سبيل التحريم والمنع .

وقد ترد السنة بالتعديل والتذييل

ومن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى

---

[١] أعلام الموقعين ج ٢ ص ٤٣٧ وما بعدها .

[٢] بداية المجتهد لابن رشد ص ١٢١ ، ١٢٢ ج ٢ .

مكتبتنا العربية

الثمار السنة والسنتين ، فقال « من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ، ووزن معلوم إلى أجل معلوم » .

فالكيل المعلوم ، والوزن المعلوم ، والأجل المعلوم ، هى التعديل الذى عدل به الإسلام هذه المعاملة ، لأنهم كانوا يسلفون فى ثمار نخيل بأعيانها ، فلا يدرى هل تأتى هذه النخيل بالقدر الذى يوفى أو لا تأتى إلا ببعضه ، أو لا تأتى فى العام الأول بشىء أصلا فيؤخر الوفاء لعام قابل ، وفى هذا ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة .

ومن ذلك حديث ابن عمر فى الصحيحين وغيرهما : « أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه — وفى رواية « حتى ينقلوه » — وقال : من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » .

* * *

ومن هنا نرى أهل العلم بالشريعة كما وضعوا فى جانب العبادات القاعدة التى ذكرناها ، وهى « لا يعبد الله إلا بما شرع » ؛ وضعوا فى جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول : « المعاملات طلق حتى يرد المنع » .

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية : « الأصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، والأصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله ، فإن العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى أحقه هو ورضى به وشرعه ، وأما العقود والشروط والمعاملات ، فهى عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين . وهو تحريم ما لم يحرمه ، والتقرب إليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكت عن إباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفوا لا يجوز الحكم بتحريمه وإبطاله ؛ فإن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه ، وما سكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها ، فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال » [١] .

* * *

وهناك أمر ينبغى ألا يغيب عنا ونحن بصدد موقف الإسلام من المعاملات التى رأى الناس يتعاملون بها ، ذلك هو ما اصطلح الفقهاء والأصوليون على تسميته بالترخيص :

فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس ، وتقدير ما تدعو إليه الحاجة من تسامح وتيسير ، فأباح هذه المعاملات

[١] أعلام الموقعين ص ٣٤ ج ٢ .

مكتبتنا العربية

مغضيا عما يلابسها من بعض الغبن أو الغرر أو الجهالة ؛ فإننا نجد الجمهرة الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناء وترخيصا على خلاف القواعد العامة . ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التي وردت فيها ؛ ولذلك يكثر في كلامهم أن يقولوا : هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ما ورد ، ولا تتعدى موضعها ، ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التي ورد فيها الترخيص بعينها حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها.

وهـــذا مسلك فيه من الحرج والتضييق ما لا يتفق وروح التشريع في المعاملات ، ومظاهر التطـــور الزمني في الحـــاجات والضرورات .

وهو بعد عكس للقضية التي شرحناها آنفا من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهي ، فالشارع لم يستعمل أسلوب النهي العام المطرد في المعاملات حتى يسوغ لنا إذا رأينا صورة تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناء وترخيصا ، إنما العموم الأصلي للإباحة ، وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء ، وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئي شخصي لا يسري إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت ، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل في عموم ، وكيف يعتبر ترخيصا أي تخفيفا وإحلالا بعد التحريم والفرض أنه هو القاعدة ، وأن حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصلية . وبمقتضى القاعدة الآنفة الذكر في المعاملات ؟ .

إن منطق هذه القاعدة ، وهي كون الأصل في المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذي حرم هو الذي استثنى من الحل ، ويبقى كل ما وراءه حلالا .

على أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصا بالمعنى الذي ذكروه ، أي استثناء لبعض الصور من أصل محرم كما يقولون ، فإن للمشكلة حلا فقهيا آخر هو أن نأخذ برأي من يجيز القياس على الترخص إذا فهم هنالك أسباب أعم من الأشياء التي علقت الرخص بالنص بها .

ويوضح هذا أن المساقاة مثلا جائزة عند الجمهور خلافا لأبي حنيفة ، والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها ، على أن يعملوها من أموالهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر ثمرها ، وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفـــة لأصول ممنوعة ، منها المزابنة ، وبيع ما لم يخلق ، وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو المعروف عند الفقهاء بالمخابرة .

مكتبتنا العربية

قال الجمهور نعم إنها مخالفة للأصول ، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث .

ثم اختلفوا فى محل المساقاة . فالذين يرون أن الرخصة يقتصر فيها على ما ورد قالوا لا تكون المساقاة إلا فى النخل فقط ، لأن المحل الذى ورد فيه الترخيص هو النخل ، والذين يجيزون القياس فى الرخص قالوا : تجوز المساقاة فى كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون أو ما أشبه ذلك ، بل زاد المالكية أنه فى حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى فى الأصول غير الثابتة كالمقاتى والبطيخ مع عجز صاحبها عنها ، وفى بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد : « فعمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها محلها الذى جاءت به السنة ، وأما مالك فرأى أنها رخصة ينقدح فيها سبب عام فوجب تعدية ذلك إلى الغير » (١) .

وبهذا يتبين أنه قد يقاس على الرخص .

وقد بين الشاطبى فى كتابه الموافقات ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة « وإن فرض فى نصوصها أو معقولها خصوص ما ، فهو راجع إلى عموم ، كالعرايا ، وضرب الدية على العاقلة ، والقراض ، والمساقاة ، والصاع فى المصراة ، وأشباه ذلك ، فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها ، وهى أمور عامة ، فلا خاص فى الظاهر إلا وهو عام فى الحقيقة » .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبدالله دراز بقوله : « فعموم النهى عن الغرر ، وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره ، وفساد المعاملات المشتملة على الجهالة فى الثمن أو الأجرة مثلا ، يشمل بظاهره هذه المسائل ، ولكن لما كان لها فى الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العموميات المذكورة ، وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها فى الظاهر ، أطلقوا عليها أنها مستثناة ، وقالوا إنها خاصة ، وهى فى الحقيقة قواعد كلية أيضا أثبتت على أصول من مقاصد الشريعة الثلاث » (١) .

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء لبعض ما أبيح مع اشتماله على ما يقتضى تحريمه « رخصة » إنما هى تسمية ملاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة المباحة لمقتضى النهى الشامل لها ، وإلا فهى فى الحقيقة أصل كلى متفق مع روح التشريع فى التيسير ودفع الحرج .

* * *

[١] بداية المجتهد لابن رشد ص ٢٠٣ ج ٢ طبعة صبيح .

(١) انظر ص ٧٨ ج ١ من الموافقات وتعليق المرحوم الشيخ عبدالله دراز عليها فى نفس الموضوع .

مكتبتنا العربية

وثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوئه منهجا فقهيا فى دراسة المعاملات الحديثه ، يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الأولى : أن من حق المجتمع الإسلامى أن يبتكر ماشاء من ألوان المعاملات ، وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج ، وأن الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التى يبحثها أهل الفقه والحديث إلا ألوانا من المعاملات يمكن أن يضاف اليها ويحذف منها ويعدل فيها ، فى ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح ، وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والتعسير .

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه ، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالما أخلد إليها الأجانب والمغرورون بهم ، فإنهم يقولون : إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة فى التجارة وشروط الشركات المعقدة التى ضيق بها الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة الأساليب الحديثة ، قابعين وراء أساليب القرون الخالية .

الدعامة الثانية : أن الأصل فى المعاملات الإباحة ، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات المحدثة حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : أن اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها ، بل لابد من دراسة هذه الناحية ، ودراسة حال الناس فى شأنها ومدى ما تشتمل عليه من منفعة أو مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها ، أو أن مضرتها من النوع الذى يمكن التغاضى عنه تيسيراً على الناس ، فيسلك بها مسلك الترخيص ، أو أنها من المعاملات التى يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها .

* * *

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد بعد أن نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر ، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات .

والله الموفق للصواب ؟

محمد محمد المدنى
أستاذ الشريعة الإسلامية
فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين ١٠٠ * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ١٠١ * يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ١٠٢ * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٣ * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ١٠٤ * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥ * » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هذه الآيات الكريمة من سورة آل عمران عظيمة الجدا ، كثيرة الفائدة ؛ فهى تحذر المسلمين من معاول لا تزال تنقض مجتمعهم وتحاول هدمه ، وهى سعاية الأعداء فيهم ، ونشر النمائم بينهم . ولا سلامة لمجتمعهم إلا بعصيانهم ، الحذر منهم ، ورد نصحهم عليهم ، وكيف يرجى النصح ممن ينطوى على غل وضغن وحسد وحقد ؟ ثم أمرهم الله بأوامر فيها قوة المجتمع وعون على دفع كيد الكائدين :

أولها : تقوى الله حق تقاته باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن يلزم المؤمنون الإسلام ، حتى لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

ثانيها : أن يعتصموا بحبل الله جميعا وهو كتابه وعهده الذى عهد إليهم فيه من الألفة والجماعة .

ثالثا : أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين ، وذلك أنه جعلهم وحدة اجتماعية . جمعهم على دين واحد ورب واحد ، فصاروا إخوانا متعاونين على دفع الأعداء ، يردون

مكتبتنا العربية

من أرادهم بسوء .أراد منهم أن يذكروا ذلك دائما ليعلموا فرق ما كانوا عليه وما آلوا إليه. فيعلموا أن الخير الذى نالوه والشر الذى نجاهم الله منه إنما كان بنعمة الإسلام ، فيحافظوا عليه ويعضوا عليه بالنواجذ ولا يفرطوا فيه .

رابعها : أن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فتحافظ على هذه القواعد أن تنهار فينهار البناء.

وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قوى البنيان متين الأركان ، كالجبل الأشم ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير .

يبين الله لنبيه والمسلمين فى هذه الآيات : أن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من هم منطوون لهم على غش وغل وحسد وبغض، وأن الحيطة تقضى ألا يقبلوا منهم رأياً ولا نصحاً ، فإنهم يبثون النميمة بين المسلمين متنصحين، وهم السم الناقع والبلاء النازل، فإن أطاعوهم أضلوهم وردوهم بعد إيمانهم كافرين يتعادون ويتقاتلون .

ثم قال : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

المراد بالاستفهام هنا الإنكار والتعجب : أى من أين يتطرق إليكم الكفر والضلال وأنتم تتلى عليكم آيات الله على لسان نبيكم غضة طرية ، وفيها العظة والإرشاد لما فيه نفعكم ، والنهى والتحذير عما يضركم ، وفيها الأمر بالاجتماع والألفة ، والتحذير من الانقسام والفرقة .

ومن يتعلق بأسباب الله فيتمسك بدينه وطاعته ، فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة لا أمت فيها ولا اعوجاج .

والاعتصام من العصم وهو المنع ، فكل مانع شيئا فهو عاصمه ، والممتنع به معتصم به . قال الفرزدق :

أنا ابن العاصمين بنى تميم
إذا ما أعظم الحدثان نابا

ولذلك قيل للحبل عصام ، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام. قال الأعشى:

إلى المرء قيس أطيل السرى
وآخذ من كل حى عصم

يعنى بالعصم الأسباب وهى الذمة والأمان .

روى الواحدى بسنده فى سبب نزول هذه الآيات عن عكرمة قال : كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم ، وجلس نفر من الأوس والخزرج فأنشد شعراً قاله أحد الحيين فى حربهم، فكأنما دخلهم من ذلك شىء. فقال الحى الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم كذا : كذا وكذا ، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا فى يوم

مكتبتنا العربية

كذا كذا وكذا، فقالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء بآل أوس، ونادى هؤلاء بآل خزرج، واجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا، وجعلوا يبكون.

وقال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي، وكان شيخا قد غبر في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد. لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار. فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج. وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل فتكلم القوم عند ذلك. فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين: أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس، وجابر بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددتها جذعا. وغضب الفريقان جميعا وقالا ارجعا. السلاح! السلاح! موعدكم الظاهرة. وهي حرة فخرجوا إليها. فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم. فقال يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله..! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق بعضهم بعضا. ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين. فأنزل الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا» يعني الأوس والخزرج «إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب» يعني شاسا وأصحابه «يردوكم بعد إيمانكم كافرين».

فهذا شاس بن قيس اليهودي الذي انطوى صدره على غل وحقد على المسلمين، قد غاظته ألفتهم واجتماعهم، فذكر فيما بينهم ما يفرق جمعهم ويصدع ألفتهم. وأي شيء أبلغ من أن يذكرهم حروبهم في الجاهلية، وما قالوا فيها من أشعار يفخر فيها بعضهم على بعض، ويعير فيها بعضهم بعضا بمن قتل منهم؛ وذلك يبعث الأضغان

مكتبتنا العربية

القديمة من مراقدها ، والإحن الكامنة من مكامنها وكذلك كان .

لاتظنوا أيها المسلمون أن شاس بن قيس قد هلك وانقضى ، بل هو حي يرزق تجدونه في كل بيت وفي كل بلد وفي كل مملكة يمشي بينكم بالنميمة ، ويخوف الأخ من أخيه ، والولد من أبيه ، حتى يفرق جمعكم ، ويشعب ألفتكم .

ومن عجب أن هـــذا الداء ساير الأمة الإسلامية من يوم وجدت إلى يومنا هذا ، ولا يزال داؤها العضال هو شاس بن قيس ! ينفث سمومه كالأفعى ؛ فيحل العقد الوثيقة والروابط المحكمة بين المسلمين و يفصم عرى التعاون والتراحم بينهم .

ومن عجب أن الله تقدم إلى هذه الأمة من يوم وجدت، فعرفها هذا الداء وعرفها الدواء، في تلك الآيات الذهبية . فلم تفطن له ولم ترد كيده في نحره وخدعت بدسائسه فيها ، فنال منها ما أراد من تمزيق ألفتها وتصديع وحدتها. ثم لا يمنعها ما لاقت منه بالأمس أن تعود فتصدقه اليوم ، فهل آن للمسلمين أن يحذروا كيد الأعداء ، وتنصح البعداء . . !

ألا صيحة توقظ النائمين، وتنبه الخامدين !

ألا قارعة من تلك القوارع تقرع أسماعهم !

ألا زجرة من تلك الزواجر توقظ قلوبهم !

ألا نفحة من تلك النفحات تفتح عيونهم على الأعداء والأصدقاء . . ! فيروا هؤلاء الأعداء المتنصحين على حقيقتهم يصدعون الجمع ، ويفرقون الشمل، ويروا الضعف الناشئ عن الفرقة ، والمصير السيئ المحتوم بالتشتت والانقسام؛ فيعصوا الأعداء المتنصحين ويلموا الشمل ويرأبوا الصدع، قبل أن يلتهمهم العدو الفاغر فاه . . . ! وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ؟

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مثل المصلح في الأمة كالمصباح في الصحراء لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

* * *

مثل المتكبر كمثل الرجل فوق قمة الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

* * *

المتصل بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

* * *

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفعال أمثال

مكتبتنا العربية

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

كانت الإنسانية تتطلع زمنا طويلا إلى دين جديد ؛ دين يدعو إلى العقيدة الحقة ، ويبين للناس الشريعة العادلة السمحة ، والأخلاق الفاضلة ، والنظم التى تقوم بها الأمة . وكان هذا الدين هو الإسلام آخر الرسالات الإلهية ، فليس لنا أن ننتظر دينا آخر توحى به السماء ؛ كما كان رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والمصطفين الأخيار ، فليس لنا أن نرجو ظهور رسول آخر من لدن الله العلى الحكيم .

ما الذى نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذى نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمه السياسية والأخلاقية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو إلى إنكار وجود الله ، والتحلل من شريعته ومن الأخلاق الفاضلة ؟

إنه لا شىء إلا هذا الدين الإسلامى نؤمن به حقاً ونفهمه حقاً ونعمل بما أتى به من عقيدة وشريعة وخلق ونظم ، ويكون له منا دعاة وزعماء مخلصون لله ورسوله : دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفا على الدعوة إليه ، ويرون سعادتهم فى القيام بهذا الواجب النبيل المقدس ويكونون فى سرهم وعلانيتهم مثلا طيبة وقدى صالحة تدعو بنفسها إلى الإسلام .

هذا الدين لا يزال العالم فى حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به واتباعه ؛ فهو الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، والداعى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

وما أشبه اليوم بالأمس ! فقد ظهر الإسلام والعرب والعالم كله فى أشد الحاجة إليه ، فآتاهم العقيدة الحقة بعد أن ضل القوم فيها ضلالا بعيداً ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم فى بعث العالم ونهضته ووحدته ، وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامى » .

* * *

هذا وقد كنت على وشك أن أتناول بالبحث فى مجلة الأزهر ، فى هذا العهد المبارك بإذن الله وفضله ، الفقه الإسلامى ووجوب تجديده وتطوره على أسس كتاب الله وسنة رسوله ، واجتهاد فقهاء الصحابة والتابعين .

مكتبتنا العربية

ولكنى رأيت من الخير أن أبدأ بالحديث عن خصائص الإسلام : الدين العام الخالد على مدى الأزمان .

هذا الدين الذى ندعو إليه جاهدين ، والذى لا خلاص للعالم إلا بما جاء به من أخوة وإنسانية ، بعد أن انقسم العالم إلى معسكرات يتربص بعضها ببعض الدوائر ، وبعد ما انتابه من محن وويلات لا يدرى طريق الخلاص منها !

على أنه ليس من اليسير أن يستقصى الباحث كل خصائص الإسلام ، هذه الخصائص التى صار بها خاتم الرسالات الإلهية ، كما صار الدين الحق الذى ارتضاه الله للعالم والناس جميعا حتى تقوم الساعة ويكون الملك لله تعالى وحده .

ولذلك نكتفى هنا أن نتحدث بإيجاز عن بعض هذه الخصائص التى تفرد الإسلام بها ، وهى أنه دين الوحـــدة الدينية ، والوحدة السياسية . والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية ، ودين الإنسانية وهو لذلك كله دين ودولة ونظام ، والدين الذى صدع بحقوق الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف من الزمان .

الإسلام دين الوحدة الدينية :

نعم الإسلام هو دين الوحدة لا التوحيد فقط ، فإن كلمة « التوحيد » قد أخذت معنى أو مدلولا خاصا لا تعدوه ، وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإليه وحده يرد الأمر كله ، وهذا فى مقابلة القول بإلهين اثنين أو آلهة متعددة .

على حين أن الإسلام لا يدعو إلى توحيد الخالق فحسب ، بل إنه قام على مد الوحدة فى كل أمر وشىء ، فى الناحية الإلهية ، والناحية السياسية ، والناحية الاجتماعية ، إلى غير هذا وذاك كله من نواحى العالم والحياة .

فقد جاء والناس فى العالم كله يعبدون آلهة شتى ، فكان أول ما عنى به رفض هذه الآلهة جميعا ، وتقرير أنه ليس إلا إله واحد هو مالك الأمر كله ، فليس هناك آلهة كثر كما يرى المشركون بعامة ، ولا إله للخير وآخر للشر كما كانت عليه الديانة الثنوية بفارس ، ولا آلهة ثلاثة على ما يعتقد النصارى بعد أن حرفوا التوراة والإنجيل .

وقد قرر القرآن العظيم هذه العقيدة التى قام عليها فى آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هو الله أحد » ، « وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، « قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون » .

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى مخاطبا النصارى الذين كفروا بالمسيحية الصحيحة

مكتبتنا العربية

« ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم » ، وقوله فى آية أخرى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد » .

ومن العجيب حقا ، الدال على فساد العقل وضلاله وعدم التمييز بين الحق والباطل ، أن أولئك المشركين ـ وقد جاءهم القرآن بعقيدة التوحيد وأقام عليها الأدلة العقلية والحسية التى لا ريب فيها ـ كانوا يقولون كما حكى القرآن عنهم : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب » !

يقولون هذا وهم يرون أن مازعموهم آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئاً ، وأنها لن تستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيرا . ولكنه ضلال العقل ، وفساد الحس ، وسلطان التقاليد .

ولم يكتف الإسلام بتقرير هذه «الوحدة» فى الإله الذى يستحق العبادة ، بل بين لنا أنه وسائر الأديان السماوية التى سبقته «وحدة» واحدة ، وأنها جميعا رسالة واحدة من الله تعالى للبشرية عامة يكمل بعضها بعضا طبقا لسنة التدرج فى التعاليم والتربيـــة ، وكلها يصرف إلى غاية واحدة وإن اختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الأزمان والناس .

ولنسمع فى هذا إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

ومثل هذا قوله تعالى فى أواخر هذه السورة نفسها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

ولنسمع كذلك فى هذه الناحية إلى ما جاء فى سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ثم إلى أمره تعالى فى السورة نفسها لرسوله أن يقول : « آمنت بما أنزل الله من كتاب » أى بالقرآن وسائر الكتب السماوية السابقة زمانا عليه .

فى هذه الآيات ـ ولو شئنا لأتينا بالكثير أمثالها فى هذه الناحية ـ دليل أى دليل ! ، على أن الإسلام يعتبر أن رسالات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام « وحـــدة » لا تحتمل التفرقة ، وأن من لم يؤمن بإحداها لا يكون مسلما قط . وأنه ـ نتيجة لهذا ـ يكون الناس جميعا أمام هذه الديانات والشرائع وأمام الله سواء ، بلا تفرقة بين أتباع هذا أو ذاك من الرسل ، ما داموا جميعا يؤمنون برسالة خاتم الرسل والأنبياء .

مكتبتنا العربية

والإسلام بعد هذا ، لم يقل كما قال أتباع موسى وعيسى عليهما السلام : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » بل رد على هذه المقالة بما يفصل بين الأديان وأصحابها ومتبعيها ، فقال : « بلى » من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

كما قال قبل هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن البدهى أن الايمان بالله يقتضى الإيمان بكل رسله وبما جاءوا به ، ومنهم طبعا خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذا الأصل الذى تضمنته هاتان الآيتان الأخيرتان ، يقرر صراحة ماجاء به الإسلام من « الوحدة » فى الدين ورسالات الله لأنبيائه ورسله ، وما يتبع ذلك من « الوحدة » فى الحقوق والواجبات ، وفى المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نرى الإمام « الشاطبى » يلاحظ فى كتابه « الموافقات » أن السور المكية من القرآن قررت من الأصول والتشريعات الأمور الكلية العامة ، يعنى الأمور التى لا تخص فردا دون فرد أو فريقا من الناس دون فريق . والتى تبقى دائما أبداً لأنها كلية عامة إذ لا يخالف فيها دين دينا ، ولذا يكون من صالح العالم كله أن يظل متبعا لها فى كل زمان ومكان .

وحدة الوجهة السياسية

ذلك من الناحية الدينية الإلهية ، ومن الناحية السياسية نرى أن الله تعالى قد من على العرب بالإسلام وهم قبائل متفككة الروابط ، متقطعة الوشائج والأوصال ؛ فبعضهم لبعض عدو ، وبعضهم لبعض حرب ، وكان من هذا ما عرفه التاريخ باسم « أيام العرب » أى حروبها فى العصر الجاهلى .

وكان لبعض البلاد العربية « إمارات » عليها أمراء يحكمونها ويلون أمورها ، ولبعضها ضرب من الاستقلال ، وإن كانت تتبع سياسيا دولة الفرس أو دولة الرومان ، فماذا صنع الإسلام بتلك القبائل وهؤلاء الأقوام المتفرقين ؟

كان أن صنع منهم أمة واحدة حقا ، لها رئيس واحد ، وتتبع سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ؛ وهذه الغاية فى نشر الدين الحق للإنسانية جميعاً ، وذلك ليكون هاديها إلى الخير فى الدنيا والآخرة .

وكان من أوائل ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الناحية ، وهو يدرك تمام الإدراك رسالته وأهدافها وغايتها ، أن عمل

مكتبتنا العربية

على إزالة ما كان بين الأوس والخزرج بمدينة « يثرب » من عداوة ظلت دهرا طويلا مشبوبة الأوار ؛ وذلك بأن وحد بينهم وجعلهم « الأنصار » له على أعدائهم من المشركين ، وهذا على ما هو معروف من تاريخ فجر الإسلام .

ثم كان ، بعد أن هاجر إلى « المدينة » ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فصاروا إخوانا فى الدين وفى كل شىء ، ويداً واحدة فى الجهاد فى سبيل الله ودينه الذى ارتضاه لهم وللناس جميعاً ، يؤلف الدين بين قلوبهم ، ويتعاونون فى السراء والضراء .

وكان من أثر هذه « الوحدة » السياسية ، التى جاء بها الإسلام وعمل لها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون فى « سقيفة بنى ساعدة » لاختيار خليفة له ، رأى الأنصار أن لهم حقاً أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرتهم للإسلام ورسوله .

ولكن أبا بكر الصديق رضى الله عنه والمهاجرين جميعاً مع عرفانهم فضل الأنصار ومآثرهم ، ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش لما أثر عن الرسول ، وهنا قال « الحباب بن المنذر » من الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر بن الخطاب : هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن ! وكان أن انتهى الأمر بتولية أبى بكر الخلافة .

وهكذا مضى الأمر أيام مجد الإسلام والعرب والمسلمين ؛ فلم يكن إلا خليفة ورئيس واحد للأمة كلها ، على اتساع الدولة الإسلامية وترامى أطرافها ، وكان هذا محافظة على « الوحدة » السياسية للأمة كلها .

وفى هذا السبيل ، سبيل الاستمساك بوحدة الأمة السياسية ، يرى فقهاء القانون الدستورى والإدارى فى الإسلام أنه لا يجوز أن يكون خليفتان فى الأمة الواحدة ، حتى إنه ليجب قتال من يخرج على « إمام » عصره طالباً الخلافة لنفسه بغير وجه حق .

فأين هذا مما نحن عليه اليوم من تجزئة الأمة الإسلامية العربية إلى دول ، حتى فى البلد الرئيس وعلم ، مع ما فى إلى الاتحاد وجمع الكلمة وتوحيد القوى .

وهو أيضا دين الوحدة الاجتماعية

وإذا تركنا الجانب السياسى إلى الجانب الاجتماعى ، نرى « الوحدة » التى قررها الإسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والجلال حد الإعجاب ، وصارت مثلا فريدا يتحدى التاريخ والأمم جميعا .

فليس فى الإسلام تقسيم أبنائه إلى طبقات، على خلاف الديانة البرهمية فى الهند التى تجعل متبعيها طبقات على رأسها البراهمة أو الكهنة . وفى الحضيض السفلة أو الأنجاس. وليس بين المسلمين من يقول : نحن أبناء الله

مكتبتنا العربية

وأحياؤه ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، كما يزعم اليهود والنصارى .

بل إن الإسلام يقرر فى صراحة لا لبس فيها ، وفى قوة لا هوادة معها ، « وحدة » الناس جميعا من الناحية الاجتماعية . ومن ثم ، يتساوى أبناؤه جميعاً فى الحقوق والواجبات ؛ لا فرق بين جنس وجنس ، ومهما اختلفت الأحساب والأنساب .

فقد محا الإسلام من أول الأمر النعرة الجاهلية ، والتفاخر بالأصول والأنساب ، وإذ أبان أن أصل الناس جميعا واحد ، وهذا إذ ينادى كتابه الأول : « يا أيها الناس [illegible] ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا [illegible] ، إن أكرمكم عند الله [illegible] م » ، وإذ لا يزال صوت رسوله المصطفى يجلجل بقوله : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

ومن أجل هذا ، ليس هناك طبقات فى الإسلام سببها الجنس أو النسب أو الجاه مثلا ، وليس فيه تشريعات للعربى وأخرى لغير العربى كما كان الأمر عند اليونان والرومان . بل المسلمون جميعاً « وحدة » واحدة من هذه الناحية أيضاً ، تحكمهم شريعة واحدة ، لا فرق بين الشريف وغير الشريف ، أو الغنى والفقير ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حادثة معروفة : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » !

بل إنه لا فرق فى هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات . وإن كان لهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم فى مسائل « الأحوال الشخصية » ؛ فقد أمرنا الرسول بتركهم وما يدينون به .

وكذلك نجد الإسلام ساوى بين هؤلاء وبين المسلمين فى وجوب أن تعين الدولة مالياً من يحتاج منهم إلى العون والمساعدة ؛ لعجزه عن العمل أو لأنه لا يجد إليه سبيلا ، وقد كان من عمر بن الخطاب أنه أمر فى كتاب عام له أن يعطى العاجز عن العمل منهم ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام .

وهكذا كما رأينا ، جعل الإسلام كل أبنائه « وحدة » واحدة فى كل حال ، من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية ، وهذا ما لا نجده فى دين آخر ، وذلك لأنه دين « الوحدة » الجامعة الشاملة ، ودين الإنسانية عامة ؟

[illegible]

أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

فى التحليل النفسى لأدب
الشاعر الذليل بن سهل الأندلسى

للأستاذ كمال الدسوقى

دعامة الإسلام العزة والقوة .

ودعامة المسيحية الرحمة والشفقة .

ودعامة اليهودية الذل والإشفاق .

هذا مجمل ما انتهت إليه دراسات الأديان المقارنة .

فبينما الإسلام يبعث فى النفس الاعتزاز بالذات ، ويعلى من شأن الكيان الفردى بما يدعو إليه من الاعتداد بالرأى ، والحرية فى الفكر ، وسلوك أى السبيلين إلى الخير أو الشر بمحض الرغبة والاختيار ؛ إذا المسيحية دين التسامح والخضوع ـ التسامح مع النفس ومع الغير خصوصا فيما هو حق لك ـ ابتغاء المحبة ، واجتناب العداوة والبغضاء وإيثاراً للسلام النفسى والإنسانى . والخضوع إلى حد التكفير والاستغفار حتى عن سيئات الغير ، ممن قد لا تعرف من بنى البشر [illegible] وسموا وتضحية . .

أما اليهودية فقد طبعت أتباعها — بما نشأت عليه من تقاليد صارمة قاسية ، وما جاءت به من تعاليم مهلكة — بطابع الحرص والخوف ، والاستعباد ، وذلك لما باعدت بين العبد والرب ، وما جعلت من الصعوبات والعراقيل دون التقرب إليه أو الطمع فى نيل ثوابه ورضوانه .

فأنت ترى أنه بينما الإسلام يجعل المرء بعقله وعمله وإيمانه على صلة مباشرة بالله أساسها العزة والكرامة ؛ فالمسيحية تصل العبد (بالرب) عن طريق الاقتداء والتشبه (بالابن) فى التضحية والفداء ونكران الذات ؛ وعموما بتمثل (الروح القدس) ؛ أما اليهودية فتوحى بقطع الصلة المباشرة أى بالواسطة بين العبد والرب ، وتوسع البون بينهما إلى حد ييأس معه الناس من أى أمل أو رجاء أو غفران

ومن هنا كان سلوك أصحاب هذه الأديان صدى واضحاً لما وقر فى نفوسهم ، وتوارثوه عن أجدادهم ، من مقتضيات العمل للدنيا والآخرة . فاليهودى يائس من الآخرة مقبل

مكتبتنا العربية

على الدنيا بحرص ونهم ، والمسيحى معرض عن الدنيا ؛ يميل إلى الرهبنة والانطواء والسكينة مهما يكن حظه من الجاه والمجد ؛ أما المسلم فيجمع بين العمل للدين والدنيا فى اعتدال وجرأة وشجاعة .

خطرت لى هذه التحليلات وأنا أتسلى بقراءة ديوان ابن سهل الإسرائيلى الأندلسى هذا الشاعر العاطفى الرقيق - الفريد فى نوعه - الذى مات غريقا عن أربعين سنة (٦٠٩ - ٦٤٩) هـ .

وعجيب من اليهودى أن يكون شاعرا ! فما أبعد عباد المادة والواقع الحى الملموس عن رياضة الخيال واصطناع الأدب والفن - لذات الأدب والفن - أنا أفهم أن يكون من اليهود علماء فى الذرة ، وأن يشغلوا فى جامعات أوربا وأمريكا كراسى كثير من العلوم والرياضيات ، بل أن يحتكروا فى فرنسا علما كالاجتماع طيلة القرن التاسع عشر - وحتى الآن - يتولاه فوكونيه عن ديركايم عن أوجست كونت ، فيفسدونه بماديتهم أبشع إفساد ... أفهم هذا ولا أنكره بقدر ما لا أسيغ أن أجد بين اليهود شاعراً ... وشاعراً فى العربية !

ولكن إبراهيم بن سهل لا شك شاعر ، وشاعر وجدانى يمكن أن يعترف به تاريخ الأدب العربى ، وآية كونه شاعراً حقيقياً أنه لم يرض من فنون الشعر العربى - على كثرتها - إلا الغزل ؛ الفن الذى يحتاج - مهما بلغ من إمكان تكلفه - إلى القلب والشعور :

كم ليلة بتها - والنجم يشهد لى
صريع شوق إذا غالبته غلبا
مرددا فى الدجى لهفى ! ولو نطقت
نجومه ؛ رددت من حالتى عجبا

. . . .

ماذا ترى من محب ما ذكرت له
إلا شكا أو بكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال إذا
رام الورود ، فيروى وهو ماشربا!

وابن سهل على قلة ما شعر ؛ لموته حدثاً ؛ ثم على قلة ما بقى لنا من شعره ؛ لضياع أغلبه ؛ شاعر مقل غرير - يدور فى فلك بعينه من الأفكار والألفاظ والأهداف الشعرية ، ولكن الطرافة والتجديد اللذين يصادفهما المرء أحيانا فى ثنايا شعره مما يوحى بالخسارة من فقده فى هذه السن التى هى بداية النضج .

استمع إليه يصف معشوقه :

لحظ يرى القتل منى نفسه
والعاد أن يترك قلب الخلى
صور من نور ومن فتنة
والناس من ماء ومن صلصال
منسلب الحيلة والصبر لا
يأوى إلى عقل ولا معقل
ذو ضنة يمنع بذل المنى
قولا ؛ ومهما قال لم يفعل

مكتبتنا العربية

يا شرك الألباب كن مجملا
واستح من منظرك الأجمل
أخشى عليك العار من قولهم
معتدل القامة لم يعدل
أبيت فرداً منك ؛ لكننى
من المنى والذكر فى محفل
وقد رثى من سهرى فى الدجى
شقيقك البدر ولم ترث لى

فشاعر اشبيلية ووشاحها - كما سمى إبراهيم ابن سهل ؛ تقديراً لأثره فى الشعر ومكانه بين الشعراء - خصوصاً الأندلسيين - رجل ذو حس صاف ووجدان مشرق ؛ صفاء المدينة التى توجته وإشراقها ؛ الحب فيه طبيعة ، والطبيعة عنده حب :

انظر إلى لون الأصيل كأنه
لا شك لون مودع لفراق
والشمس تنظر نحوه مصفرة
قد خمشت خداً من الإشفاق
لاقت بحمرتها الخليج فألفا
خجل الصبا ومدامع العشاق
سقطت أوان غروبها محمرة
كالكأس خرت من أنامل ساق

وله فى الوصف هذه القطعة التى لم تخل منها محفوظات أحدنا أو أبنائنا ؛ لبساطتها وسهولة انسيابها وجمالها .

الأرض قد لبست رداء أخضراً
والطل ينثر فى رباها جوهراً
هاجت لخلت الزهر كافوراً بها
وحسبت فيها الترب مسكا أذفراً
والنهر ما بين الرياض تخاله
سيفاً تعلق فى نجاد أخضراً

وأبرز ما يستوقفك فى شعره عدا ما ذكرنا استغلاله الألفاظ وتلاعبه بها وتفننه فى رصفها - حتى الألفاظ الفنية المستعملة فى النحو والعروض وعلوم اللغة - مما يؤذن فى النهاية بأن الشاعر دخيل على العربية حديث العهد بدراستها واستذكار علومها ؛ فهو يظهر براعة متكلفة :

لك الثناء ، فإن يذكر سواك به
يوماً ؛ فكالرابع المعهود فى البدل

* * *

خفضت مكانى إذ جزمت وسائلى
فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا؟

* * *

تنأى وتدنو والتفاتك واحد
كالفعل يعمل ظاهراً ومقدراً

* * *

إذا اليأس ناجى النفس منك «بلن» «ولا»
أجابت ظنونى «ربما» و «عسائى»

* * *

مكتبتنا العربية

وأبادر فأقول إنه لم يرعنى فى شعر ابن سهل كل هذه المزايا بقدر ما راعتنى هذه الذلة والمهانة فى الحب التى أوحت إلى بالفكرة التى قدمت بها بين يدى هذا المقال : حقاً إن التذلل فى الحب والاستسلام للهوى شىء لا يعاب ، ولكن لابن سهل هذا الذل الناشىء عن طبع فيه أصيل :

يقولون لو قبلته لاشتفى الهوى
أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا

ولو غفل الواشون قبلت نعله
أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا

ومن لى بوعد منه أشكو بخلفه
ومن لى بعهد منه أشكو به الغدرا

فأنت ترى أن حب الشاعر حب سلبى ذليل ، حب بينه وبين التقبيل ما بين السماء والأرض ، حب حظ صاحبه منه مجرد لثم النعل ، مجرد التماس الشكوى من الخلف والغدر ، حب كله عليه غرم وليس له فيه أى غنم ، وهو فى عرف الشعر مما يستملح لو لم يصدر عن روح اليأس والهوان التى تناولت تحليلها . فالاستسلام إذا صدر عن القوى المنتصر كان حلماً ، أما إذا صدر عن الرعديد الجبان لم يعد إلا ضعفاً وجبناً .

والشاعر نفسه يعبر عن ذله وهوانه على المحبوب - وهو يعنى من باب أولى ذله ذل اليهود على سائر الناس - معتذراً لقاتله عن أنه قد جشمه صعوبة قتله (وأين هذا من الثأر العربى !) مما يتكرر فى كثير من شعره :

إنى له عن دمى المسفوك معتذر
أقول حملته فى سفكه تعبا

نفسى تلذ الأسى فيه وتألفه
هل تعلمون لنفسى بالأسى نسبا

وتبحث فى شعره عن تبرير لهذا اليأس القاتل فى الحب ماسببه ؟ وهل ضاقت بالمحب الوسائل وأعوزته الحيل ؟ وهل الذى خلق هذا الحبيب الذى لا يعترف بوجوده لم يخلق غيره ؟ فتفهم إيمان الشاعر بأن كل شىء مقدر بقضاء يسبق كل حيلة أو وسيلة ، وأن لا يدله فى رفع هذا الذل والمهانة فى الحب ، فضلا عن غيره من الشئون :

حديث عنقاء : صب أدرك الأملا
حظى من الحب أنى بعض من قتلا

أما لقد نصح العذال ، لو قبلوا
السيف من لحظ (موسى) يسبق العذلا

طلبت حيلة برء من محبته
فنص لى لحظه الأمراض والعللا

* * *

أشكو إلى الحدق المراض ، وضلة
أن يشتكى هدف إلى سهم مضى

بلوى على القلب المعذب جرها
لحظى الظلوم ولحظ موسى والقضا

مكتبتنا العربية

عجائب لم تدرك : فعنقاء مغرب
وإقبال موسى ، أو زمان الصبا ردا

وإن الشاعر ازداد مشكلته النفسية تعقيداً بأن يسلم . وسواء أكان إسلامه حقيقة أم رئاء الناس فإنه ارتداد عن دين آبائه وأجداده أملته ضرورة - ومهما يكن ارتد عن دين ذليل إلى آخر أقوى وأعز ، فإن عقله الباطن لا يزال يتهمه بالخيانة بقدر ما يصدمه الواقع الحي بأنه دخيل على الإسلام .

لقد أعلن إبراهيم إسلامه وأسلم فعلا ، فقرأ القرآن ودرس العربية وخالط المسلمين ومدح النبي محمدا - وقال الشعر العربي ، ولكن ذاته اليهودية قد تضاعفت بإسلامه وازدادت تعقيدا : استمع إليه يعترف :

تسليت عن موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وإنما
شريعة موسى عطلت بمحمد

واختلف المؤرخون فى حقيقة (موسى) الذى لم يرد فى ديوان ابن سهل غير اسمه ، ولم يتغزل إلا فيه ولم يتغن إلا به . فقالوا هو نبي اليهودية وقالوا هو صبي أحبه ، وأغلب ظني أن الصبابة بموسى والتعذب فى حبه والتألم لفراقه وتمنى وصاله الميئوس منه الذى أيسر منه العنقاء والعجائب ورجوع الصبا ... كل هذا تنفيس عن هجر دين (موسى) وتكفير عن الخروج عليه والارتداد عنه .

وإلا فكيف نعلل عكوف الشاعر على الغزل المصطنع المتكلف لا يعدل عنه ؟ لو أن موسى هذا كان له حسن يوسف وكان هو على صلة آثمة به أفما كان لهذه الصلة نهاية بأن يكبر الصبي مثلا وتنقطع علاقته به فيحل غيره محله ؟ أو ليكن الشاعر منحرفاً يعشق الغلمان ، ألم يتح له مرة واحدة أن يحب أو يخالط امرأة فيعدل عن التعلق بموسى هذا ؟

إن اسم موسى فى شعر ابن سهل ليس من الشعر ، إنما يهتف فى ذهني وتحليلي لنفسيته بأنه دخيل على العربية والإسلام . ولك أن تعترض بأن كثيراً من أدباء العربية وشعرائها فى المشرق كانوا أعاجم دخلاء ، فأجيبك بأن فصاحة ابن سهل ورقته وتمكنه من اللغة والدين الجديد - إن صح - لم تخنه . إنما الذى فضحه ما لازمه وتضاعف عليه من ذل اليهودية .

فليس كالعربية لغة تريك المطبوع والمصنوع.

واقرأ عينيته فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم لتتثبت مما أقول !

كمال دسوقى

مكتبتنا العربية

نظرية ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها من بعض عند مفكري الإسلام

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يقترن اسم دارون (١) بنظرية ارتقاء الأنواع ، وانشعاب أعلاها من أدناها (٢) وتفرع الإنسان عن القردة العليا (٣) أو تفرعها هي والإنسان عن أصل واحد مجهول.

وقد جرت عادة الباحثين في « علم الحياة » (٤) حينما يعرضون لنظريات دارون أن يذكروا لها أشباها ونظائر عند بعض القدامى من باحثي الفرس والهنود واليونان ، ولبعض المحدثين السابقين لدارون من علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخاصة لامارك الفرنسي (١) .

ولكن لم يفطن أحد منهم إلى أن يحلل النظرية وكثيراً من تفاصيلها ، حتى ما تعلق منها بأصل الإنسان وصلته بفصائل القردة ، قد قال بهما مفكر عربي ظهر قبل دارون بنحو خمسة قرون : ذلكم هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون (٢) .

---

١ ــ هو شارل روبرت دارون Charles Robert Darwin من أشهر علماء الإنجليز في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء ، ولد سنة ١٨٠٤ وتوفي سنة ١٨٧٢ ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظريته كتاب «أصل الأنواع» وقد تابعه في مذهبه هذا عدد كبير من الباحثين من أشهرهم من الإنجليز هكسلي Huxley « ١٨٢٥ ــ ١٨٩٥ » وهربرت سبنسر Herbert Spencer « ١٨٢٠ ــ ١٩٠٣ »

٢ ــ اشتهرت هذه النظرية باسم النظرية الارتقائية Evolutionnisme واشتهر أنصارها باسم الارتقائيين أو أصحاب مذهب النشوء والارتقاء Evolutionnistes.

٣ ــ يطلق اسم القردة العليا Anthropoides على أنواع من القردة مجردة من الذيول وتشبه الإنسان شبها كبيرا في تكوينها الجسمي ، ومن أشهرها : الغوريلا ؛ والشمبنزيه ؛ والجيبون ؛ والأورانج ــ أو طانج .

٤ ــ هو ما يسمى بعلم البيولوجيا Biologie

---

١ ــ هو جان بابتيست لامارك Jean Baptiste Chevalier de Lamarck من أشهر علماء فرنسا في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء . ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظرية ارتقاء الأنواع كتاب «فلسفة علم الحيوان» Philosophie Zoologique وتاريخ الحيوانات عديمة الفقرات Histoire des Animaux sans vertébres ولد سنة ١٧٤٤ وتوفي سنه ١٨٢٩

٢ ــ ولد ابن خلدون بتونس سنة ١٣٣٢ وتوفي بمصر سنة ١٤٠٦ (انظر تاريخ حياته ومكانته العلمية وإنشاءه لعلم الاجتماع في كتابنا : « ابن خلدون منشئ علم الاجتماع » . ــ مكتبة نهضة مصر بالفجالة) .

مكتبتنا العربية

ويحسبنا دليلا على ذلك أن نورد فيما يلى بعض ما جاء على قلم ابن خلدون خاصا بهذا الموضوع ، وسنضع خطاً تحت ما يشير منه إشارة صريحة إلى ارتقاء الأنواع واستحالة بعضها إلى بعض وإلى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته ببعض فصائل القردة .

فقد جاء فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من الكتاب الأول من مؤلفه الشهير فى التاريخ الذى سماه « كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » (١) ما يلى :

« اعلم ، أرشدنا الله وإياك . أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجـــودات إلى بعض ، لا تنقضى عجائبه فى ذلك ولا تنتهى غاياته . وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى . وأولا عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلا بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطا ويستحيل بعض الأوقات . . ثم انظر

---

[١] يشتمل هذا المؤلف على ستة أقسام . « أحدها » الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية وتشغل نحو سبع صفحات . « وثانيها » تمهيد يشغل نحو ثلاثين صفحة ، وقد سماه المؤلف « المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام . . » « وثالثها » هو ما سماه المؤلف « الكتاب الأول فى طبيعة العمران فى الخليقة . . » ، ويشغل هذا القسم نحو ستمائة وخمسين صفحة ؛ ويشتمل على تمهيد فى نحو سبع صفحات ، وعلى ستة فصول رئيسية ينتظم الفصل الأول منها ست مقدمات ، وينتظم كل فصل من الفصول الخمسة الأخرى عدة فصول فرعية . والنص الذى سنذكره قد ورد فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من هذا القسم . « ورابعها » هو ما سماه ابن خلدون « الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد . . » « وخامسها » هو ما سماه المؤلف : « الكتاب الثالث فى تاريخ البربر ومن إليهم . » « وسادسها » هو ما سماه المؤلف : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » وهو القسم الذى ترجم فيه المؤلف لنفسه .

وقد جمعت الأقسام الثلاثة الأولى فى مجلد واحد اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » .

هذا ، ولأهمية هذه المقدمة ، وعظيم مكانتها فى عالم الاجتماع ، ولما أصابها فى مختلف طبعاتها من حذف وتحريف ، ولحاجتها فى كثير من المواطن إلى الشرح والتعليق ، قمنا بنشرها ، مع التمهيد لها ، ونشر الفصول والنقرات الناقصة من طبعاتها ، وتحقيقها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وعمل فهارسها « طبعته لجنة البيان العربى » . وقد ظهر من هذه الطبعة جزءان يشتملان على نحو ألف وخمسمائة تعليق ، ويفتتح أولهما بتمهيد للمقدمة يقع فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير ، وسيظهر فى المقدمة فى جزءين آخرين إن شاء الله .

مكتبتنا العربية

إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج : آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات، مثل الحشائش وما لا بذر له ؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى (١) لأن يصير أول أفق الذى بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القردة (٢) الذى اجتمع فيه الكيس (٣) والإدراك ، ولم ينته إلى الروية والتفكر بالفعل ؛ وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده » (١) .

وأشار ابن خلدون كذلك إلى هذا المعنى نفسه بعبارة أكثر وضوحا فى فصل من الفصول التى تزيد بها طبعة باريس للمقدمة (طبعة كاترمير) عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى (٢) ، وهو الفصل الذى جعل عنوانه : « علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (وهو الفصل الخامس من الباب السادس ، حسب طبعة باريس) ؛ وذلك إذ يقول :

« وقد تقدم لنا الكلام فى الوحى أول الكتاب فى فصل المدركين للغيب ، وبينا هنالك أن الوجود كله فى عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعى من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم ، وأن الذوات التى فى آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن

[١] فى بعض النسخ « بالاستعداد القريب » ، وفى بعضها « بالاستعداد الغريب » ، وكلتا الكلمتين تحريف لكلمة « الفطرى » .

[٢] فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا «عالم القدرة» بالدال قبل الراء . وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة تغييراً تاما ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقائيين بنحو خمسة قرون ، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه .

٣ فى جميع النسخ السابقة لطبعتنا : « الحس والإدراك » وصوابه « الكيس والإدراك » ، كما ورد فى نسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية وذلك لأن مجرد الحس تشترك فيه الحيوانات جميعا ، وإنما يمتاز أرقاها بالكيس وهو الحذق .

[١] صفحات ٣٥٢ ـ ٣٥٤ من طبعة لجنة البيان العربى .

[٢] وذلك أن طبعة باريس للمقدمة ، وهى الطبعة التى أشرف عليها المستشرق كاترمير Quatremère وظهرت سنة ١٨٥٨ ، تزيد عن الطبعات المتداولة فى العالم العربى « وكلها منقولة عن طبعة الهوريني التى ظهرت سنة ١٨٥٨ كذلك » بأحد عشر فصلا فرعيا ، كما تزيد عنها فى ثنايا بعض الفصول المشتركة بينهما وفى خواتيمها بفقرات كثيرة . وجميع الزيادات التى تختص بها طبعة باريس منقولة عن نسخ خطية موثوق بها .

مكتبتنا العربية

تنقلب إلى الذات، التى تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما فى العناصر الجسمانية البسيطة، وكما فى النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحازون والصدف من الحيوان، وكما فى القردة التى استجمع فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية. وهذا الاستعداد الذى فى جانبى كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها» (١).

* * *

ولعل الذى جعل الباحثين لا يفطنون لرأى ابن خلدون فى استحالة الأنواع بعضها إلى بعض، وفى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته بفصائل القردة، أن كلمة «عالم القردة» فى النص السابق قد حرفت فى جميع طبعات المقدمة المتداولة فى العالم العربى فى العصر الحاضر إلى كلمة «عالم القدرة»، فجاءت العبارة على هذا الوضع: «واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم «القدرة» الذى اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل» وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة، بل جردها من الدلالة. وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها داروين وغيره من جماعة الارتقائيين، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه.

* * *

هذا، وفكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها ليست من مبتكرات ابن خلدون، بل قد سبقه إليها كثير من الباحثين من قبله، واستخدموا فى تقريرها بعض الألفاظ، والعبارات التى استخدمها وقسموا الكائنات إلى الأقسام نفسها التى قال بها.

فقد قرر هذه الفكرة القزوينى (وهو سابق لابن خلدون) فى كتابه «عجائب المخلوقات» إذ يقول: «إن المعادن متصل أولها بالجماد وآخرها بالنبات. والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان. والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان. والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية».

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزوينى، ابن الطفيل فى كتابه «حى بن يقظان» وأشار إليها من قبل ابن الطفيل، ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) فى كتابه «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق». فقد ذكر مراتب الجماد والنبات والحيوان واستخدم لفظى «الأنس» و«الاتصال» اللذين استخدمهما ابن خلدون. فمن ذلك قوله:

(١) طبعة كاترمير ص ٣٧٣ من المجلد الثانى.

مكتبتنا العربية

« فلذلك هى فى أفق الجمادات » ، وقوله « ويصير فى أفق الحيوان » ، وقوله : « وأول هذه المراتب من الأفق الإنسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى مراتب الناس . . . » .

وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه « إخوان الصفاء » فى رسائلهم التى ظهرت بين سنتى ٣٣٤ و ٣٧٣ على الأرجح ، وذلك إذ يقررون أن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ؛ وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ؛ كما أن أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية ؛ وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه فى نظرهم هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، وهو الحلزون وأكثر الديدان التى تكون فى الطين وفى البحار وأعماق الأنهار ، إذ ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، فهذا النوع حيوان نباتى ؛ لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه دائما وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان . ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة فى الحيوانية . وقد يشاركه النبات فى تلك الحاسة ؛ فللنبات حاسة اللمس فقط ؛ ويتمثل هذا فى إرساله جذوره نحو المواضع الندية وامتناعه من إرسالها نحو الصخور واليبس . أما مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسانية فليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه : فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسمه مثل القرد . ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس فى كثير من أخلاقه ، وكالفيل فى ذكائه ، والببغاء الهزاز ونحوها من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ، وكالنحل لطيف الصنائع ، إلى ما شاكل هذه الأجناس . والقرد لقرب شكل جسمه من جسم الإنسان صارت نفسه تحاكى أفعال النفس الإنسانية ، أما الفرس بأخلاقه ، والفيل بذكائه ، وهذه الطيور بنغماتها وموسيقاها ، فقد صارت فى آخر مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسان ؛ لما يظهر فيها من الفضائل . (١)

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل هؤلاء جميعا أرسطو فى نظريته فى ترتيب الكائنات وتدرجها فى سلم العالم ، فأدنى درجات السلم فى نظره هى الأجسام اللاعضوية ، وفيها تضعف الصورة حتى لتكاد تكون هيولى بلا صورة ، وأول ما يسعى إليه الجسم العضوى (وهو التالى فى المرتبة للأجسام اللاعضوية) تحقيق شخصه ونوعه ، وأحط درجات السلم فى الأجسام العضوية هو ما اقتصر على التغذى والتناسل وهو النبات ، ثم يليه

---

[١] رسائل إخوان الصفاء جزء ٢ صفحتى ١٤٤ ، ١٤٥ ، وجزء ٣ صفحتى ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ج ٤ صفحتى ٢٧٨ ، ٣١٧ .

مكتبتنا العربية

الحيوان إذ يزيد عنه بالإحساس ، ويتبع الإحساس الشعور باللذة والألم .

وانتقل هذا الرأى إلى فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الفارابى فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » إذ يقول : « إن ترتيب هذه الموجودات هو أن يتقدم أولا أخسها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقسات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه (١) .

* * *

ولكن ابن خلدون تختلف نظريته عن هؤلاء جميعا من وجهين :

(أحدهما) أن الرقى عند هؤلاء هو رقى فى المرتبة فحسب ، فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيباً عقليا ومنطقيا ، حتى إن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والببغاء وبعض الطيور الذكية فى مرتبة قريبة من الإنسان وفى أعلى مراتب الحيوانية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى مذهب إخوان الصفاء . أما ابن خلدون فيقصد الارتقاء من الناحية العضوية البيولوجية .

(وثانيهما) أنه لم يتمل أحد من هؤلاء باستحالة هذه الكائنات بعضها إلى بعض ، أما ابن خلدون فقد قرر فى عبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة بطبعها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التى تليها ، وأنها قد تستحيل إليها بالفعل ، كما ورد فى النصوص السابق ذكرها .

وبهذين الوجهين نفسيهما تقرب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقائيين المحدثين بقدر ما تبعد عن آراء من عرض لهذا الموضوع من قبله ؟

دكتور

على عبد الواحد وافى

---

[١] انظر كتابنا « فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة » صفحتى ٢٩ ــ ٣١ .

من الحكم المأثورة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

الموت لا يكون إلا مرة والموت أحلى من حياة مرة

مكتبتنا العربية

الحركة الموسوعية في الإسلام

للأستاذ حسين علي الذواقي

إن أغلب مصنفات علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات . ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمعناه المعروف في الوقت الحاضر أخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة يتبعون خطى أرسطو، ويرون وضع مؤلفات تحوى شتى أنواع العلوم كالفارابي وابن سينا وأضرابهما . وقد عبر الشاعر العربي عن هذا الاتجاه بقوله :

احرص على كل علم تبلغ الأملا
ولا تموتن بعلم واحد كسلا

النحل لما رعت من كل فاكهة
أبدت لنا الجوهرين: الشمع والعسلا

اتبعت الحركة الانسكلوبيدية تطور الحياة في العالم الإسلامي ، وتنوعت كلما تغيرت عناصر الحياة في هذا العالم ، فبدأت بشكل بسيط إلى أن اتخذت شكلها الحقيقي الوافي في كتاب (العالم) لأحمد بن أبان ، وفي رسائل إخوان الصفا .

ويقتضي تنظيم البحث أن نبدأ أولا باستعراض الموسوعات العامة ثم نتطرق إلى الأنواع الخاصة منها .

وضع الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي (المتوفى ١٨٩هـ) ، أحد مؤسسي علم النحو واللغة مجلداً كبيراً باسم (خلق الدنيا وما فيها) بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والأرض والعوالم الأخرى بسرد الآثار والأخبار ، واستند في ذلك إلى الحديث والمؤلفات العلمية الأخرى الموجودة يومئذ . (١)

وكتب أبو حاتم ابن حيان البستي (٣٥٤هـ) كتاباً في (وصف العلوم وأنواعها) في ثلاثين جزءاً .

ومن أقرب المؤلفات إلى الشكل الموسوعي ما ألفه احمد بن أبان بن سيد الأندلسي (٣٨٢هـ) وهو عالم فاضل ، ولغوي كبير يكنى أبا القاسم كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) وكان في أيام المستنصر (٣) . روى عن أبي علي البغدادي وأخذ عنه كتاب (النوادر)، وروى عن سعيد

---

[١] حاجي خليفة : كشف الظنون و
H. Z Ulken ; Islam 365 .

[٢] ابن بشكوال : كتاب الصلة ص ٧ المجلد الأول . مجريط ١٨٨٢ .

[٣] الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٥٢٢ مجريط ١٨٨٤ .

مكتبتنا العربية

ابن جابر الإشبيلى وغيرهما وأخذ عنه أبو القاسم ابن الإفليلى .

كان ابن سمينه مولعاً بالآداب واللغات ورواياتها وتصنيفهما متقدماً فى معرفتهما وإتقانهما وكان مطلق القلم بالتصنيف ، فمن آثاره كتاب (العالم) (١) ، وهو يقع فى مائة مجلدة ، ومرتب على الأجناس ، ابتدأ فيه بالكلام عن الفلك لكونه أعظم الأجسام وختمه بالذرة (٢) . وله كتاب (العالم والمتعلم فى النحو) (٣) وكتاب شرح فيه مؤلف الأخفش وغير ذلك (٤) .

وعلى نفس الشاكلة فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) تجد رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل وكتاب (العالم) يعتبران أقدم الانسكلوبيديات المكتوبة فى العالم . أما المؤلفات السابقة لها فإنها ليست بمستواهما من حيث الاستيفاء والشمول .

كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية علمية للقرن الرابع الهجرى (١) حازت عند جماعة من الحكماء والجهابذة قبولا كثيراً وعرفوا مقامها فأحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها .

تقسم الرسائل إلى أربعة أقسام : منها رياضية تعليمية وهى أربع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهى سبع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل النفسانية العقلية وتشتمل على عشر رسائل ، ومنها الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية وهى إحدى عشرة رسالة (٢) .

تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين فمن قائل إنها تنسب إلى عالم فى ما وراء الطبيعية من علماء المعتزلة (٣) . ومنهم من عزاها إلى الإمام جعفر الصادق (٤) وبعضهم اعتبرها من إنتاج أبى القاسم مسلمة المجريطى القرطبى المتوفى ٣٩٨ هـ (٥) . ومما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعبر عن آراء

---

[١] القفطى : أنباه الرواة ص ٣٠ ـ ٣١ .
[٢] حاجى خليفة : نفس المرجع .
[٣] القفطى : نفس المرجع ص ٣١ .
[٤] السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .
راجع : روضات الجنات ص ٦٥ ـ وسلم الوصول ص ٦٢ ومعجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ .
الوافى بالوفيات ج ٢ مجلد الأول ص ٨٠ .

[١] O'Leay ; Arabic thought and Its Place History. P. 165. 1922.
[٢] [illegible]
[٣] Flügel ; Z,D M G 20.
[٤] ابن حجر : الفتاوى ص ٩٣ طبعة القاهرة .
[٥] In Casiri 1, No. 364.

وراجع كشف الظنون .

مكتبتنا العربية

واتجاه زمرة من الفلاسفة والمفكرين من رجال القرن الرابع كانوا أعظم المختصين فى العلوم والفنون فى عهدهم بما فيهم متدينون مخلصون متكلمون ومتصوفة . وبجانبهم زنادقة ملحدون (١) .

حاولت هذه الزمرة جمع الأفكار الفلسفية والاجتماعية التى كانت قد تطورت فى العالم الإسلامى حتى العهد الذى عاشوا فيه وهدفت إلى تنظيم هذه الأفكار والمزج بينها فأوجدت مصنفاً موسوعيا ضخما مبسطا استهدفت فيه قبل كل شىء مقاومة تيار الانحطاط الذى أصاب المجتمع العباسى ؛ وذلك بنشر متومات ومشارب أخلاقية وعناصر ثقافية راقية ، سلكوا فى تحقيقها طريقة علمية وحاولوا فيها التوفيق بين أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث والفارابى من جهة ، وبين بعض المبادئ الشيعية من جهة أخرى لذلك يطلق على مذهبهم فى الفلسفة الإسلامية مذهب التوفيق والاختيار Eclectisme (٢)

ومن الكتب المهمة أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمى (٣٧٨ هـ) ألفه لأبى الحسن عبد الله بن أحمد العتبى (٣) ، وكتاب طبقات العلوم) لأبى المظفر الأبيوردى (٥٠٧ هـ) وكذلك كتاب (الفنون) لأبى الوفاء بن عقيل البغدادى (٥١٣ هـ) .

ولابن عقيل تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب (الفنون) وهو كتاب كبير قال ابن الجوزى : هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لى منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبى فى تاريخه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب . حدثنى من رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعمائة ، هذا وفى رواية أخرى أنه ثمانمائة مجلد (١) .

وألف أبو الفرج بن الجوزى (٥٩٧ هـ) فى فنون شتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (٢) وكتابه (المجتبى) أقرب كتبه إلى الشكل الانسكلوبيدى العام ، وهو فى أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (٣)

ومن التصانيف القيمة فى هذا الباب كتاب (حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار) للإمام فخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) الواعظ البليغ والفقيه الشافعى الكبير أورد فيه موضوعات ستين علماً ألفه للسلطان علاء الدين تكشى الخوارزمى (٤) .

وكتاب (درة التاج لغرة الديباج) فارسى للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى

(١) H.Z. (apud; Der Islam 1932.) Ulken: Op. cet. 365.

(٢) 2 Sosyoloji Dergisi No. 6-7.

(٣) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٣٢ .

(١) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص : ٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

(٢) جورجى زيدان : نفس المرجع .

(٣) حاجى خليفة : نفس المرجع ج ٢

(٤) كشف الظنون ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ .

مكتبتنا العربية

(المتوفى ٧١٠ هـ) وهو المشهور بـ (أنموذج العلوم) يجمع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية ( ) ألفه لدياج بن فيلشاه (٢) .

ولا ينبغى أن ننسى بهذه المناسبة كتاب (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) لشمس الدين محمد الأنصارى الذى أصبح مصدراً لمطا شكو برى زاده فى (موضوعات العلوم) . وكذلك يتطلب التطرق إلى كتاب (إتمام الدراية لقراء النقاية) لجلال الدين السيوطى الكاتب الذى بلغ عدد مؤلفاته أكثر من (٣٠٠) كتاب ورسالة (٣) .

ومن أجل ما نذكر من الجهود فى هذا المضمار ، ومن أقربها إلى الإلمام بمذاهير ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون . تشكل المقدمة كتاباً مستقلا بذاته بحيث إنها فى مضمونها لا تتصل بالتاريخ برابطة ، تحوى معلومات واسعة الأطراف غزيرة الفائدة ، يقول عنها المسيو مونييه R. Maunier أستاذ علم الاجتماع فى كلية الحقوق بباريس ، بأنها مركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعلوم العصر (٤) .

كذلك فى العالم الإسلامى طراز من التأليف الانسكلوبيدى يدعى غالباً بـ (الأمالى) . والأمالى جمع الإملاء وهو أن يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم منتقلا من بحث إلى بحث ، ومن شعر إلى شعر بطريقة التداعى الحر ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء والأمالى والمؤلفات من هذا الطراز كان يطلق على البعض منها اسم (التعليق) (١) .

وثمة ما يسمى (مجالس) وهى أجمع من الأمالى لأن الموضوع لم يكن خاصاً بالرئيس فحسب ، بل فيما يدور بين من يضمهم المجلس كمجالس ثعلب فهى أوفى من الأمالى إلى حد بعيد .

وكتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية ، ويذكر من هذا النوع كتاب (تعليم الصنائع) للفارابى ، وإحياء علوم الدين للغزالى وكتابا الشفاء والنجاة لابن سينا ، أو كتاب الكليات والجوامع لابن رشد .

ووضع العلماء المتخصصون التراجم والأنساب والتذكرة على هيئة انسكلوبيدية ، وكتبا حول بماعى الحديث وتدقيق سيرهم باسم علم أسماء الرجال . ووضعت مجلدات ضخمة حول النحاة والأدباء والحكماء والفلاسفة

---

(٤) كشف الظنون ، وتاريخ آداب العرب جـ ٣

(٢) 2 H.Z. Ulken. Ibid.

(٣) حسن فهمى بك : الكتب العربية المطبوعة فى مكتبة الجامعة باستانبول .

(٤) مباحث علمية : من منشورات الجامعة العثمانية فى حيدر آباد ص ٧٣ .

[١] كشف الظنون .

مكتبتنا العربية

والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار ، والطبيعيين والرياضيين . والفقهاء والمحدثين . وكثير غيرهم ممن نبغوا فى مختلف الاختصاصات ، وحققوا أنسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم .

ومن الذين كتبوا فى البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ هـ) فوضع كتابه (الأمصار) والزمخشرى(٥٣٨هـ) فكتب (الأمكنة والجبال والمياه) وياقوت الحموى (٦٣٠ هـ) فكتب معجم البلدان (١) وهو خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافية . وقد لخص هذا المعجم صفى الدين بن عبدالحق (٧٣٩هـ) فاقتصر فيه على الجغرافية وسماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وابن فضل الله العمرى (٧٤٨ هـ) فكتب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) وهو موسوعة فى بضعة وعشرين مجلداً من الكتب الهامة فى الأدب والتاريخ والجغرافيه والتاريخ الطبيعى وغيرها (٢) .

وكتب فى التراجم مؤلفات قيمة جداً فكتب ابن سعد (٢٣٠ هـ) (الطبقات فى سير أصحاب الرسول) وكتب ابن عبد البر النمرى القرطبى (٤٦٣ هـ) (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) وعز الدين بن الأثير الجزرى (٦٣٠ هـ) (أسد الغابة) .

وكتب حول سير المفسرين كتب أشهرها كتاب (طبقات المفسرين)للسيوطى (٩١١هـ) وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وأهم ما كتب فى طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشى (٧٥٥هـ) باسم الجواهر ، وكتاب للقاضى نجم الدين ابراهيم بن على الطرسوسى (٧٥٨ هـ) باسم (وفيات الأعيان من مذهب أبى حنيفة النعمان) ، وكتاب لقاسم بن قوتلوبوغا الحنفى (٨٧٩ هـ) باسم (تاج التراجم فى طبقات الحنفية) ، ويجدر بالذكر من العهد العثمانى كتاب (الشقائق النعمانية) وأذيالها .

وأهم ما كتب فى طبقات الصوفية كتاب (حلية الأولياء) لأبى نعيم (٤٣٠ هـ) وكتاب (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار ، وكتاب (نفحات الأنس) لملاجامى وما يتعلق بالأدب يجدر ذكر كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (معجم الأدباء) لياقوت الحموى ، وفى تراجم المفكرين الآخرين كتاب (طبقات القراء) للجزرى ، وكتاب (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة وكتاب (طبقات الحكماء) لابن القفطى ، ولابن صاعد والشهرستانى آثار

---

(١) H. Z. Ulken :Op. Cit. 366.

(٢) جورجى زيدان ، الوافى بالوفيات للصفدى .

جليلة فى هذا الشأن ، وثمة كتب حول مذاهب الكلام لابن حزم والباقلانى . وكتب فى الأنساب للسكاكى والبلاذرى والسمعانى وابن الخوطى ، وتعتبر كتب ابن خلكان (وفيات الأعيان) والصفدى (الوافى بالوفيات) ، وابن حجر (الدرر الكامنة) والسخاوى (الضوء اللامع) والمحبى والمرادى من ضمن هذه الكتب الجليلة فى التراجم .

وقد تألفت فى العهد الأخير (دائرة المعارف) للبستانى وأخرى لفريد وجدى . وبوشر بترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ونشرت منها أجزاء .

وينبغى ألا يعزب عن الذهن من العهد العثمانى كتاب (موضوعات العلوم) لطاشكوبرى زاده و (سفينة الراغب) لمؤلفه راغب باشا و (كشف الظنون) لحاجى خليفه وقد تضاءل عدد المؤلفات من هذا النوع بعد التنظيمات حتى ألف شمس الدين سامى (قاموس الأعلام) والمترجم عاصم افندى (أوقيانوس) أو ترجمة القاموس ، وألف خواجه احمق قاموس العلوم الرياضية ، وبدأ أمر الله افندى بترتيب موسوعة باسم (محيط المعارف) ، إلا أن المنية وافته بعد نشر الجزء الأول ولم تكمل الأجزاء الأخرى . واستطاع رضا توفيق نشر بضعة أجزاء من (قاموس فلسفة) . وفى الأيام الأخيرة حدثت حركة تأليف انسكلوبيدى بجد ونشاط أبرز مافيها لجنة ترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ولجنة أخرى لوضع موسوعة أخرى باسم (اينونو انسكلوبيديس) وتبدل اسمها الآن فسميت بـ (تورك انسكلوبيديس) . (١)

حسين على الدراقورى
مفتش معارف كركوك بالعراق

(١) H.Z, Ulken: Op. cit. 368

رأى بعض العرب سيفا فقال : ما أجوده لولا قصر فيه . . .
فقال صاحبه : تتمته بخطوه . . . فقال الرجل . . . لهذه الخطوة أشق من مشية إلى الصين .

مكتبتنا العربية

أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

يستعمل القسم بين الإنسان والإنسان لدفع الشك بما يحدثه من التأكيد والتوثيق؛ لأن الفكرة الأولى فيه هي أن الإنسان المقسم يحلف إما بشيء عظيم في نفسه، أو بشيء عظيم في نفس السامع أو بهما معا، ويكون القسم عندئذ رباطا متينا؛ لأنه يوحي بصدق المقسم وجده؛ وذلك لاعتقاد السامع أن القسم الكاذب ينتهي إلى هلاك صاحبه، وهذا ناشئ في البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة وهي فكرة دينية محضة؛ ولذلك كان المعبود هو موضوع القسم الأول.

على هذا جاء الحلف عند العرب في الجاهلية، فقد كانوا يقسمون بأكثر شيء قداسة لديهم، فحلفوا بالله، ولقد سجل عليهم القرآن ذلك في مواضع متعددة فقال تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم» وأقسموا بأصنامهم التي كانت تقربهم إلى الله زلفى كاللات والعزى ومناة.

ثم اتسعت الفكرة لديهم فلم تعد قاصرة على المعبود بل شملت بيوت العبادة ومتعلقات الحج، والإبل التي تحمل الحجيج والقرابين التي تقدم للآلهة. شملت كل أولئك؛ لأن فيها قبسا من قداسة المعبود وعليها مسحة من عظمته في نظرهم.

فعرب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه في كلامهم وأحكامهم. فلما نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم؛ ليكون مفهوما لديهم حبيبا إلى نفوسهم حتى إذا ما ظهر عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله كان ذلك عن أمر عرفوه، وأسلوب ألفوه، وإنما عجزوا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد. فهو ليس من صنع البشر، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر. يقول نولدكه في دائرة المعارف البريطانية. وفي كتابه «تاريخ القرآن»: «كان غرض محمد الوحيد في السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد. هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما تشعب الموضوع. إلا أن محمدا بدلا من أن يتوجه إلى عقول سامعيه يقنعها بالبراهين المنطقية، لجأ إلى الفن الخطابي ليؤثر على عقولهم من طريق الخيال والوجدان».

نحن نعرف أنه من الأسلوب الخطابي الاستدلال بالحلف والأيمان. وهذا خطأ من نولدكه في زعمه هذا من أن القرآن المكي خلو من الحجاج بالبراهين العقلية والمناقشة بالأدلة المنطقية. وقد روج هذا الزعم بعض

مكتبتنا العربية

الباحثين المعاصرين على غير أساس فى بحثهم وتثبت من قولهم . فقد جاء فى القرآن المكى الإقناع بالحجة والجدل والبرهان ولا سيما فى السور الأخيرة من العهد المكى ، ورسم القرآن للنبى صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة تختلف باختلاف من يدعوهم ، فقال تعالى فى سورة النحل وهى مكية : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) .

يقول الغزالى فى كتابه «القسطاس المستقيم» :

« إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ؛ فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى .

وقد جاء القسم فى القرآن الكريم فاتحة للسور المكية خاصة فى خمس عشرة سورة نحو (والصافات ، والذاريات ، والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق) ووقوع القسم فى ابتداء السور له أثره النفسى ، فإن البدء به هو جذب لانتباه السامع ؛ لوقوع القسم على سمعه فى شىء من الرهبة . فإذا حدث ذلك تهيأ نفسى لتلقى ما يقال . خصوصا وأن ما يقال مبنى على قسم والقسم شىء يهول . وفى هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثيرا بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدل والنقاش ؛ لأن الإقناع العقلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر ، ومن الصعب على النفوس الجامحة العقيدة ، كنفوس العرب فى جاهليتهم ، أن تقر لأحد المجادلين ، بالغلبة أو تسلم له بالانتصار من طريق الإفحام . بل كثيرا ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلى ؛ فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذى يجهله .

فالقسم فى أوائل السور يعطيها نضرة فى بهجتها ، ورونقا فى ديباجتها فتلمع الأقسام فى قسمات السور ، كالغرة البارقة . بل هى أشبه شىء بالمطالع الحسنة فى القصيدة الجيدة ، وفى هذا رعاية لجانب المستمع ؛ لكيلا ينفر فيسد أذنيه . ومن كمال الحجة تليين القول وتأليف القلب ، فقد أمر الله الأنبياء بهذا كما قال تعالى لموسى وهرون حين أرسلهما إلى فرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) .

وقد أشكل أمر القسم فى القرآن الكريم على كثيرين : فذهب فريق من الناس إلى القول بأن القسم لا يصدر إلا ممن شك الناس فى صدقه ، فهو يلجأ إلى اكتساب الثقة باليمين ، وهنا لا يليق بجلال الله ، وهو قول مردود إذا تذكرنا شيئين .

أولا - أن القرآن نزل بلغة العرب وخاطبهم بالأساليب التى عرفوها ومنها القسم .

مكتبتنا العربية

ثانيا ـ لم يكن الغرض من القسم فى القرآن دائما التأكيد، بل يكون أحيانا بيان شرف المقسم به وعلو قدره، حتى يعرف الناس مكانته ورفعة منزلته : كالقسم بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) ، وكالقسم بالنفس اللوامة فى قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)، وكالقسم بالأماكن التى أنبتت الأنبياء، وكانت موطن إنزال الوحى إليهم : كما فى قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين) .

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة، التى هى مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام .

فالتين والزيتون المراد منبتهما وهو أرض بيت المقدس، فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا. قال ابن القيم فى كتابه « التبيان » :

« إن منبت هاتين الشجرتين حقيق أن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته عيسى بن مريم، كما أن طور سينين هو الجبل الذى أوحى إلى موسى فيه . وهذا البلد الأمين هو مكة .

ثالثا ـ أحيانا يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى الآيات المكنونة ، والمشاهد الطبيعية، لتتوصل منها إلى خالقها، والتأمل فيها تأملا يبين مبلغ نعمتها ، وأنها غير جديرة بالعبادة ، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها : كالقسم بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق، والشمس وضحاها، وكالقسم بالفجر وليال عشر، وبالنجم إذا هوى ، وما أشبه ذلك .

رابعا ـ من أسرار القسم أنه لو كان الاستدلال على أمور لا تتعلق بها الرغبة أو الرهبة ، مثل ما نرى فى العلوم الطبيعية والرياضية، كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح. فأما والاستدلال على أمور نفسية ، من حث واستنكار وزجر وردع ، فالاحتياج أكثر إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة : من أساليب القول متفاوتة فى الوضاحة واللطافة والقوة والحدة ، سريعة التأثير قريبة الإقناع ؛ لأن أكثر الآراء الاعتقادية إنما هى نتيجة التلقين. والتلقين هو فى الحقيقة يتوقف على قوة الإقناع وأساليب التأثير .

هذا إلى أن فى القسم إيجازا فى الاستدلال، والعرب لذكائهم كانوا يحبون الإيجاز، وطبيعة لغتهم تساعدهم على ذلك ، ولذلك لا ترى شيئا فى القرآن إلا وهو أوفى من اللفظ ؛ فإن أطنب قولا من وجه ، أو جزه من وجه آخر ، فهو لا تنقضى عجائبه ولا تفنى أسراره ؟

(للبحث بقية)

عبد الوهاب محمود

مكتبتنا العربية

التعليم الدينى فى السودان

للأستاذ على العمارى

— ١ —

لعل أصدق تعبير وأوجزه فى وصف الشعب السودانى أنه شعب عربى متدين . يعرف ذلك حق المعرفة أولئك الذين قدر لهم أن يعيشوا فترة من الزمن فى ربوع تلك البلاد ، وأن يعرفوا العادات والتقاليد والأخلاق التى تميز شعب السودان عن غيره من الشعوب .

فإذا ذهبنا نستنطق التاريخ وجدنا تأييداً قوياً لهذه القضية ، وأسعفنا بالدليل تلو الدليل على عراقة هذا الشعب فى العروبة ، واستجابته الصادقة لتعاليم الدين .

فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن اتصال العرب بالسودانيين كان قبل الإسلام بزمن غير قصير « فمما هو ثابت أن تجار العرب دخلوا السودان عن طريق البحر الأحمر ، وعن طريق مصر فى العصور القديمة ، وفى عهد البطالسة والرومان ، غير أن دخولهم السودان بعد الإسلام سواء عن طريق مصر أو البحر الأحمر أو من الغرب كان فى هيئة جماعات كبيرة كبطون أو بدنات من القبائل (١) .

وليس معنى هذا أن جميع السكان عرب ، وإنما معناه أنهم الكثرة الكاثرة ، والعدد الأوفر ، وفى أيديهم الآن ومنذ زمن بعيد مقاليد الأمور فى السودان .

جاء فى تاريخ السودان لنعوم شقير ما يأتى « وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلا ، وأوفرهم عقلا ، وأرقاهم حضارة ، وقد هاجروا إليها بعد الإسلام عن طريق مصر أو البحر الأحمر فاستولوا عليها تدريجا وسكنوا أطيب بلادها وأسسوا فيها عدة ممالك ، سيأتى ذكرها ، وهم إما حضر أو بادية ، أما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفى الجزيرة بينهما . . . وأما البادية فأكثرهم فى البطانة وصحارى البيوضة وكردوفان ، ودارفور . . . واسم العرب فى السودان إنما يطلق على بادية العرب فقط ، وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التى يسكنونها ، وهم يرجعون فى أنسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢) » .

---

[١] التربية فى السودان ج ١ ص ٢٠ لعبد العزيز عبد المجيد .

[٢] نفس المرجع ص ٥٣ .

مكتبتنا العربية

على أن اللهجات العربية السائدة فى السودان لاتدع مجالا للشك فى عروبة هذا القطر الشقيق فإننا لو أنعمنا النظر فى كلامهم لظهرت لنا السمات العربية الأصيلة فيه ، وهذا يبقى ما دام القوم - لاسيما البادون منهم - لم يختلطوا بغيرهم من الأمم ، وقد ألف أحد علمائهم كتابا سماه (العربية فى السودان) عنى فيه برد كثير من الكلمات المستعملة عندهم إلى أصلها العربى ، وربما كان هذا ممكنا فى كل البلاد العربية غير أنا نلاحظ أن الكلمات السودانية لم تبعد كثيراً عن أصلها العربى ، كما نلاحظ أن الكلمات الدخيلة قليلة بالنسبة إلى مثيلاتها فى الأقطار العربية الأخرى ، ولعل ذلك يكون أكثر وضوحا فى الأمثال الشائعة هناك فإن الأمثال هى القدر الوحيد المشترك بين الفن واللغة التخاطب ، أعنى أننا إذا أردنا أن نعرف مدى تغلغل اللغة العربية فى عامية أى قطر من الأقطار ، وأردنا أن ندرس بجوار ذلك فنا أدبيا ، فليس أمامنا إلا الأمثال التى تجرى على ألسنة العامة ، فهى فوق إيفائها بما نريد من الدلالة على قوة الصلة أو ضعفها بالعربية الفصحى ، توقفنا على معان سامية نطرب لها ونعجب .

وقد أطلت النظر فى الأمثال السودانية ، بعد أن جمعت منها قدراً صالحاً فتبين لى أنها لا تبعد عن الفصحى إلا بمقدار يسير ، ومن هذه الأمثال ما لا تحس بغربة فيه من مثل قولهم (يا حافر حفرة السوء وسع مرافدها) وله نظائر كثيرة .

وقد دخل الإسلام بلاد السودان فى أول عهده بمصر ، قال المقريزى فى خططه « وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعيد بن أبى السرح فى عشرين ألفا إلى النوبة فمكث بها عبد الله بن سعد زمانا وصالحهم ، وقرر عليهم شيئا معلوما من المال » .

وقد جاء فى كتاب الصلح الذى عقده عبد الله مع النوبة ، ما يصرح بأن المسلمين بنوا هنالك مسجداً ، وأن المسلمين سينزلون بهذه البلاد ، ويحسن أن نقتطف من هذا الكتاب بعض الفقرات ، لأنه أول وثيقة تاريخية تتضمن دخول المسلمين بلاد السودان « عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى السرح لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا

مكتبتنا العربية

بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه ، فإن أنتم أويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلما أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ... فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان » .

هذا أول مسجد بنى فى أرض السودان ، وقد كان فى مدينة (دنقلة) وقد سألت عن هذا المسجد بعض سكان هذا الإقليم فلم ينبئنى أحد بخبره ، ويبدو أنه لم يستمر طويلا ، ذلك أن النوبيين كانوا حين حاربهم المسلمون على المسيحية التى وفدت إليهم من مصر فى منتصف القرن السادس الميلادى . وكانوا قبل ذلك على الوثنية يعبدون الكواكب ، ويضعون لها التماثيل ، وقد ظلوا على المسيحية حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى . فاعتنقوا الإسلام ، ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم . فيبدو أنهم - وقد ظلوا على المسيحية بعد اتصالهم بالمسلمين نحو سبعة قرون - حين أحسوا فى أنفسهم القوة على نقض هذا العهد نقضوه ، وهدموا المسجد .

ولكن المسلمين لم يثنهم وقوف النوبيين فى وجه الإسلام عن دخول السودان من جهات أخرى ، فقد هاجروا فى القرن الأول الهجرى إلى قبائل (البجة) . وهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر - وعلموهم الإسلام ، وكان (البجة) على الوثنية . كذلك اتصل العرب بعد الإسلام بسكان دارفور ، وقد كانوا على الديانة (الفتشية) فعلموهم الإسلام ، فتقبلوه بقبول حسن ، وبالغوا فى التمسك بآدابه وفضائله .

وكان من عادة المسلمين أنهم إذا دخلوا بلداً بنوا فيه مسجداً ، (تؤدى فيه الصلوات ، ويعلم فيه القرآن . ويكون منتدى لهم يعقدون فيه مجالس شوراهم ويجهزون منه سراياهم ، فاستنار السودان بنور القرآن فى كل مكان ، وكان لمديرية دنقلة فى ذلك القدح المعلى إذ ذاك لأنها فى بداية الطريق ، ففازت بالسبق فى هذا المضمار ، وأسست فيها مساجد كثيرة) (١) .

ولعل من الإنصاف ألا نجعل الفضل كله أو أكثره لدنقلا ، فإن جهات أخرى من السودان كانت فيها مساجد كثيرة لهذه

(١) من مقال للعالم الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين بمجلة معهد أم درمان ص ١١ العدد الأول .

مكتبتنا العربية

الأغراض ، بل ربما مر عهد من العهود كان الفضل كله لغير دنقلة من بعض أقاليم السودان وكان لملوك دارفور . فى عهدهم الزاهر فضل أى فضل على التعليم الدينى فى السودان ، وكذلك كان لملوك الفونج ، « وكان فى دارفور مساجد جمة فى كل بلدة مسجد أو أكثر يعلم بها الكتابة والقرآن ، وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلى به الصلوات الخمس ، وفى لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية ، وله (حاكورة) هبة من السلطان ، يعيش هو وتلامذته من ريعها ، وكان بعضهم يجىء إلى مصر لتلقى العلوم فى الأزهر ولهم رواق معروف برواق دارفور » (١) .

وقبل أن نتحدث عن أساليب التعليم الدينى فى السودان ومنهجه ، والعلوم التى شاعت دراستها نعود إلى تدين أهل السودان ، ليكون ذلك عونا لنا على فهم عنايتهم بالتعليم الدينى منذ دخل الإسلام فى بلادهم .

السودانيون - إذا استثنينا فئة قليلة ممن أضلهم الاستعمار - محافظون أشد المحافظة على تعاليم الإسلام ، فهم يؤدون الصلاة فى أوقاتها لا يشغلهم عنها شاغل ، ومن المألوف حتى فى العواصم الكبرى أن ترى جماعات المصلين أمام المحلات التجارية وفى الميادين العامة إذا كان المسجد بعيداً ، وهم يقيمون الصلاة فى أول وقتها ، ولا تكاد ترى شابا يتهاون فى هذا الفرض الإسلامى ، وكما يحافظون على الصلاة يحافظون على غيرها من شعائر الدين .

ومن أبرز صفاتهم الأمانة ، وقد أقمت فى مدينة أم درمان زهاء ست سنوات ما سمعت بحادث سرقة ، ولا اختلاس ، ولا (نشل) .

كما أنى لم أسمع فى هذه المدة بحادث قتل إلا مرة واحدة وكان القاتل غير سودانى ، وهم يسمرون فى مجالسهم بالاستماع إلى المدائح النبوية ، ولهذه المدائح شأن كبير فى حياتهم ، ينظمونها ، ويتغنون بها ، ويجتمعون عليها ، ولأحد مداحهم ديوان عنوانه (أبو شريعة فى مدح صاحب الشريعة) وهو قصائد منظومة باللغة العامية ، وكثير منهم يحفظون هذا الديوان ، وينشدون منه فى مجالسهم الخاصة والعامة .

ومن مظاهر تدينهم إكرامهم للعلم والعلماء فهم يعظمون العلماء ويجلونهم ، ومن عاداتهم الغريبة أن العالم إذا زارهم وأراد الرحيل قدموا له الهدايا ، وكثيراً ما تكون نقودا يجمعونها له ، وأشد غرابة من ذلك أن الرجل منهم إذا زار عالما قدم له شيئا من المال حين ينصرف عنه ، وقد شهدت من ذلك حادثة ، فقد كنت جالسا فى حجرة شيخ علماء السودان بمعهد أم درمان ، فأقبل رجل

[١] تاريخ السودان للعموم جـ ٢ ص ١٤٦ .

مكتبتنا العربية

سودانى يزوره فلما هم الرجل بالانصراف أخرج من جيبه قطعة من ذوات الخمسة القروش ووضعها على مكتب شيخ العلماء وسلم وانصرف ، وأدرك الشيخ - وكان ليتمافطنا - ما يدور بنفسى ، فقال : هـذه عادة أهل السودان ، يرون ذلك من إكرام العلماء ، ثم نادى على حاجبه وأمره بأخذ تحية الضيف التى قدمها للضيف !

ومما يكاد يكون فيصلا فى إكرامهم للعلم والعلماء ، أن أحد رجال التعليم كان يريد بناء مدرسة فطاف فى بلاد السودان يجمع المال لهذا الغرض، وقابلته بعد أن حضر من رحلته فوجدته غاضبا ، فقلت له فى ذلك فقال : أتصدق أنى لم أستطع أن أجمع من الناس فى هذه الرحلة الطويلة غير عشرين ألفا من الجنيهات ... لقد قل الخير فى الناس !

وقد أدركنا كبار الأساتذة فى معهد أم درمان لا يتحركون من مقاعدهم فى فصول الدراسة إذا كانوا يدرسون تفسيراً أو حديثا إذا زارهم غريب مهما كان مركز الزائر ، وذلك إجلالا لكلام الله ، وحديث رسوله.

والسودانيون يشتهرون بصفات يرجعها بعضهم إلى ما فيهم من دماء العروبه ، وأرى أن للإسلام دخلا كبيرا فى هذه الصفات، وأيا ما كان فهى شواهد على عروبتهم وحسن إسلامهم .

من هذه الصفات حبهم للضيف ، وشدة احتفائهم به ، وإعداد منازلهم - فى بعض الجهات - إعدادا كاملا لاستقبال الضيف مهما كان عددهم ، ومن تلك الصفات محافظتهم على الجار ، وصيانتهم للأعراض . والعفة عما فى أيدى الناس ، ذكر نعوم شقير فى كتابه قال : ومن غريب أخلاقهم أنه إذا أتى الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعا ولم يسأل أحدا خوفا من التعبير بذل السؤال .

وفيهم صبر عجيب على الشدة ، فالمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه ، وقد شهدت هنا عملية أجريت لعالم كبير من علمائهم من غير مخدر ، ولم نسمع له أنة ، ولا توجعا فلما سألته فى ذلك ، قال : أتريد أن ينقل عنى ابنى هذا أنى رفعت صوتى من الألم ؟ !

والمسوق إلى القتل لا يبدى أقل جزع أو خوف ، ومن هذا القبيل أن الرجل منهم إذا كان سائرا وحدثت خلفه ضوضاء لا يلتفت كمن به جزع . بل يتحول بجميع جسمه فى غاية الهدوء .

والسودانيون فى المذهب سنيون وفى العقائد على مذهب الإمام الأشعرى ، وللصوفية فى أخلاقهم آثار وآثار ، ولذلك انتشرت الطرق الصوفية عندهم وعظم احترامهم لها ؟

على العمارى
المدرس بالأزهر

(للحديث بقية)

مكتبتنا العربية

موسيقى القرآن
بين الترتيل والتلحين

للأستاذ أحمد الشرباصي

الموسيقى هى لغة البشر الطبيعية العميقة الجذور فى النفوس والقلوب ، وحب الناس للصوت الجميل أمر معروف مشهور ، ولا ينكر تأثير هذا الصوت إلا عليل أو مكابر ، وقد كثر حديث الكتب الفنية والأدبية عن هذا التأثير وذلك الحب . ثم سرى الحديث من كتب الفن والأدب إلى كتب الدين ، والعقائد ، فنرى كتباً كثيرة قد ألفها فقهاء أو علماء عن السماع وعن أحكام السماع ، ونرى رجلا كالغزالى يفرد للسماع وللغناء والموسيقى بابا طويلا فى كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو ينتصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة ، ويرد على الذين يحرمون السماع ويحاربون الصوت الجميل ، كما نرى ابن القيم يصنع نحو هذا الصنيع فى كتابه « زاد المعاد » وكل من الغزالى وابن القيم معروف بفقهه وتدينه وغيرته على الإسلام وكذلك نجد فى كتب الصوفية وفى الكتب التى وضعها عنهم الواضعون فيضا من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع .

واقتحام الموسيقى لبيئة الدين أمر قديم عريق القدم ، فقد رووا أن نبى الله داود عليه السلام كانت له معزفة يتغنى عليها ، فيبكى ويستبكى ، وكان يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو « الزبور » بسبعين لحنا ، وكان يقرأ قراءة تطرب منها الجموع ورووا عن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أنه أحب الصوت الحسن ، ولما اتفق المسلمون على كلمات الأذان للصلاة كلف النبى بلالا بأن يرددها ويرتلها واصفا له بأنه « أندى صوتا من غيره . كما وصف النبى أبا موسى الأشعرى وكان حسن الصوت - بقوله « لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود » .

ويروى صاحب « التاج الجامع للأصول » أنه جاء فى رواية : دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناى أحسن من صوته . والصنج آلة من نحاس كالطبقين يضرب بأحدهما على الآخر والبربط بوزن جعفر - آلة موسيقية كالعود والناى هو المزمار . فلما سمع أبو موسى ذلك قال : لو علمت يا رسول الله أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً (أى حسنته تحسينا وزينته تزيينا)

مكتبتنا العربية

وهذا عمر بن الخطاب القوى المتشدد فى دينه كان يسمع قراءة أبى موسى الأشعرى وهو يتلاحق فيقول عمر معجبا به : « من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل » :

وقد اشتهر طائفة من صحابة النبى رضوان الله عليهم بحسن الصوت وحلاوة النبرة ، فمنهم أبو موسى الأشعرى الذى أوتى مزمارا من مزامير داود ، وعقبة بن عامر الذى وصفوه بأنه كان من أحسن الصحابة صوتا ، وبلال بن أبى رباح مؤذن السماء وصاحب الصوت الندى الرخيم ، وأبو بكر الصديق صاحب الصوت الرفيق الحزين ! ...

وهذا هو القرآن الكريم الذى أمر الله المسلمين بأن يرددوه ويرتلوه ترتيلا ، إننا ننظر إليه فنجد فيه كثيرا من الخصائص الموسيقية ، كانتظام الفاصلة فى كثير من المواطن ، ووجود الانسجام الصوتى والإيقاع الموسيقى ، ولنقرأ مثلا قول الله تعالى : «والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ... » . أليس فى الانتظام والانسجام هذا الحرف المنطلق بالمدة المفتوحة ، وهو الواو فى أغلب هذه الآيات ؟ .

وفى سورة الرحمن نسمع القرآن يقول : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان » . أليس من اتساق الصوت هذه النون المسبوقة بألف المدة التى تأتى فى نهاية كل آية ؟ . وأليس اختيار حرف النون هنا لونا من ألوان هذا الاتساق ؟ .

وقل نحو هذا فى قول الله عز وجل : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » أرأيت هذه الهاء المفتوحة المنطلقة التى ختمت بها كل آية من آيات هذه السورة ؟ ألا تراها فاصلة لازمة مكررة ، فيها موسيقية وفيها اتساق ؟ .

وفى سورة القمر نرى هذا الإيقاع الموسيقى حين نسمع الحديث عن نوح عليه السلام : « فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر » . فهذه الراء الساكنة التى تحدث فى اللسان ذبذبة حين النطق بها تعطى الكلام رنينا وموسيقية خاصة ؛ ولأن حرف الراء حرف له موسيقيته وذبذبته نجده كثير

مكتبتنا العربية

الورود فى فواصل الآيات القرآنية ، فنجده ـ مثلا ـ يأتى فى نهاية أغلب الآيات الموجودة فى سورة الإسراء ، وفى نهاية أكثر الآيات الواردة فى سورة الفرقان ، وفى نهاية كل آية من آيات سورة القمر ، وعدد آياتها خمس وخمسون ، فكأن حرف الراء جاء خمسا وخمسين مرة متتابعة ؟ .

وجاء حرف الراء فى نهاية أغلب الآيات الواردة فى سورة الدهر ، وفى نهاية جميع الآيات الواردة بسورة القدر ... الخ .

وأحيانا نرى حرفا محذوفا من آية لكى يتوافر هذا الاتساق الصوتى ، كما فى قوله تعالى : « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » . فالأصل : « يسرى » فحذفت منها الياء لتتفق الفواصل ؛ وأحيانا نرى حرفا يزاد لنفس الغرض ؛ كما فى قوله تعالى : « إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، فالأصل هو « الظنون » ولكن زيدت فى آخر الكلمة ألف المد لتتفق مع نهاية الآية المرتفقة الخومة بكلمة « شديدا » ! .

وبعض الناس يقرر أن التلحين الموسيقى والاتساق الغنائى مما لا يمكن أن يلتقى مع مايسمونه بالترتيل القرآنى ، وهذا غير صحيح ؛ لأننا نستطيع فى سهولة أن نسمى علم « التجويد » وهو علم الترتيل القرآنى باسم « علم الموسيقى القرآنية » ! .

وهذا العلم يتضمن أحكام تلاوة القرآن ، وتبيان مخارج الحروف ، وشرح صفاتها المختلفة ، ويتعرض لبحث المد بأنواعه ، وبحث الإخفاء والإظهار ، والفك والادغام ، والجهر والهمس ، والغن والإمالة ، والقلقلة والإشمام ، والوقف والوصل ، والتفخيم والترقيق ، وتعلية الصوت وخفضه ، وغير ذلك من موضوعات هى من صميم المسائل الصوتية ؛ لأنها تتعلق بكيفية النطق وهيئة الأداء ، والمسائل الصوتية هى من صميم الموضوعات الموسيقية .

ومهمة « علم التجويد » أو « علم الموسيقى القرآنية » هى الهداية إلى الطريقة المثلى لترتيل القرآن الكريم ، إذ أن الله تبارك وتعالى يقول : « ورتل القرآن ترتيلا » والترتيل هو ضبط النطق ، وإتقان التلاوة ، وتجويد القراءة ، وتحسين الصوت ، ومناسبته لفحوى الكلام ؛ ويقال إن الإمام عليا سئل عن الترتيل فأجاب : « الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف » .

وقد وضع العلماء منذ العصور السابقة كثيراً من الكتب التى تبحث فى علم التجويد ومسائله ، وعندى أنه يجب على الموسيقيين

مكتبتنا العربية

أن يدرسوا هذا العلم دراسة واسعة ، لأنه من صميم صناعتهم ، ولأنهم عن طريق هذه الدراسة يستطيعون أن يدركوا الصلة القوية الوثيقة بين علم التجويد و بين الموسيقى ؛ وإذا كنا قد طالبنا من قبل - ونطالب الآن - رجل التلاوة القرآنية بأن يكون على شيء من الدراية للقواعد الموسيقية لينتفع بها فى ضبط تلاوته ، فمن الواجب أن نطالب رجل الموسيقى بأن يفقه قواعد التجويد ومسائله ؛ لأنها من صميم الموسيقى والنغم الصوتى .

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تشير فى وضوح وجلاء إلى أن تلاوة القرآن تحسن إذا كان فيها حلاوة صوت وجمال تغن ، فمن هذه الأحاديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقوله : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن بتحزن فيه » وقوله : « ما أذن الله (أى ما استمع) لشيء كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » وقوله : « تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه ؛ والذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من المخاض من العقل » ، واستمع النبى ليلة لقراءة أبى موسى الأشعرى - كما سبقت الإشارة - فأعجب بقراءته ، وأخبره فى الصباح قائلا : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة ؟ (أى لسررت) ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود (أى لقد أعطيت لحنا من حسن صوت داود عليه السلام ، وكان صوت داود فى نهاية الحسن) .

أظن أن هذه الأحاديث تضيق كثيراً مسافة الخلف بين أنصار التلحين وأنصار الترتيل ، وتخفف حدة العداوة بين الفريقين ، فإن الترتيل المستحب يتضمن بمقتضى هذه الأحاديث شيئا من التلحين والتغنى والتطريب والترجيع .

وقد ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويرجع صوته به أحيانا ، كما رجع يوم الفتح فى قراءته : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، وكان يمد قراءته ويقطع فيها أى يجزئها .

وذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى ويتلاحق ؛ ويقول عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وكان عقبة بن عامر كما ذكرنا - من أحسن الناس صوتا بالقرآن . فقال له عمر : أعرض على سورة كذا . أى اقرأها على ، فعرض عليه بصوته وتلحينه ، فبكى عمر وقال : ما كنت أظنها نزلت ! .

وقد رووا أن الإمام أبا حنيفة وأصحابه

مكتبتنا العربية

كانوا يسمعون القرآن بالألحان . وكذلك روى عن الإمام الشافعي أنه كان يستمع القرآن بالألحان ، وذكر ابن القيم في (زاد المعاد) تعليل المجيزين لقراءة القرآن بالتلحين فقال : « لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود ، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلي وتجمل المرأة لبعلها ، ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح ، قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، كما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطاني بالسماع [illegible] ونظائره كثيرة جداً » .

نعم هناك فريق من الفقهاء مثل الإمامين أحمد ومالك يرى أن قراءة القرآن بالألحان بدعة ، ولم تعجبهم هذه القراءة وكرهوها ، ولعل هذا الفريق يقصد بالألحان هنا تلك الألحان المحددة التي كانت معروفة للأغاني ، والتي لا تناسب جلال القرآن ولا روح وعظه وتذكيره ، إذ أن هذه الألحان بقواعدها المعروفة وهيئاتها المتكلفة المحددة لا تتلاءم مع عظمة القرآن ورسالته ، وإذا كنا نقول: إن للقرآن موسيقى ، فنحن نقصد موسيقى القرآن الملائمة لجلاله وجماله من ناحية تحسين الصوت به والتطريب في إلقائه وإثارة العواطف والمشاعر بترتيله وتلاوته :

وأظن أنه لا يخالف أحد يفقه روح الإسلام ويعرف جلال القرآن في وجوب امتناع التالي للقرآن عن استخدام لحون أهل الفسق في تلاوة القرآن وترتيله ، وعن اتخاذ القرآن المجيد كالأغاني التي يراد منها مجرد اللهو والطرب فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح » .

ومن المشاهد أن بعض القراء المرتلين للقرآن الكريم هنا وهناك يسيئون التصرف في الترتيل ، إذ يسرفون في التطريب ، ويعتسفون في التلحين ، ويخرجون عن حد الأدب والذوق ، وأحيانا يخطئون من ناحية اللغة ومن ناحية النطق ومن ناحية التجويد ، ومن ناحية إعطاء المعنى المقصود ، فقد

مكتبتنا العربية

يهمزون ـ فى سبيل التطريب المعروف ـ ما ليس بمهموز ، وقد يزيدون فى المد حتى يختل أو يعتل ، وقد يقفون حيث يجب الوصل ، وقد يصلون حيث يجب الوقف . . وهكذا .

وهنا أذكر أنه كانت تعجبنى تلاوة المرحوم الشيخ محمد رفعت ، كما تعجبنى تلاوة الشيخين الشعشاعى والحصرى أطال الله حياتهما ، وهناك من غير شك كثير من المحسنين للتلاوة ولست أحصى ولكنى أضرب المثل . .

والواجب على كل مرتل للقرآن الكريم أن يتذكر قبل أن يتلو ، وأن يتذكر وهو يتلو أنه يرتل كلام الله ، وكتاب الله ، وقرآن الله وأنه يبلغ عن الله قيوم السموات والأرض ورب العالمين جميعا ، وأنه يرتل لا للإضحاك أو التسلية ، بل ليذكر ويهدى ويرشد ، وليذكر كل مرتل حين يرتل قول الله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ليتذكر أن هناك تطريبا يراد به التأثير ، وتطريبا يراد به الإضحاك ، وأن الأول منهما هو الأليق بجلال القرآن ورسالته ، وها هو ذا ابن القيم بعد أن ذكر أدلة المبيحين للتغنى والترجيع والتطريب والتلاوة ، وأدلة المانعين لذلك ، أراد أن يفصل فى النزاع بين الطائفتين فقال :

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغنى على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً . .

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب فى القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع ، فهو مطبوع لا متطبع . وكلف لا متكلف ، فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغنى الممدوح المحمود ، وهو الذى يتأثر به السامع والتالى ، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

والوجه الثانى ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس فى الطبع السماحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، لا تحصل إلا بالتعليم والتكلف ، فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه .

مكتبتنا العربية

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التى هى إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرأونه بشجى تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق تارة وهذا أمر فى الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أرشد إليه وندب إليه ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به ، وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن

وفيه وجهان : أحدهما أنه إخبار بالواقع الذى كلنا نفعله . والثانى أنه نفى لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم » .

وإذن فليقرأ القراء كتاب الله عز وجل ، وليرتلوا ترتيلا ، وليحسنوا به صوتهم ما استطاعوا ، وليتغنوا به ما قدروا ، وليلتمسوا بتطريبهم وتلحينهم مواطن التأثير والزجر والعظة ، ولكن ليحفظوا مع هذا جلال القرآن المجيد ، وليتذكروا دائما أنه كلام العزيز الحميد ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من روائع تمثيله صلوات الله عليه قوله فى تقييد الحرية إذا أضرت بالغير : إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فأراد أحدهم أن ينقر موضعه بفأس . فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع به ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

مكتبتنا العربية

عصر نبذ الإله الواحد فوقع في شرك آلهة شتى

للأستاذ فتحي عثمان

وقع المجتمع الأوربي في أزمة ...

وجاء عصر النهضة فانفجرت الأزمة، وتمرد الناس على كل رابطة تربطهم بطاغية: سواء أكان دوقا إقطاعيا أم كاهنا دينيا ... ثم جاء عصر الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية فاشتعل البركان ضد الملوك ...

وكانت النتيجة الحتمية لرد الفعل أن يلتهب الحماس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاء نور الحرية، فرأى الهائجون في انطلاقهم أن يشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، وأن يتمردوا على الله أيضا: أفليس هو ملك الملوك الذي استمد منه الملوك والكهان سلطانهم الذي طالما أذلوا به الرقاب وسفكوا الدماء ونهبوا الحقوق؟؟.

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، أما السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة، فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة، أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه، لأنه خادم الله للصلاح، ولكن إن فعلت الشر فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر، لذلك يلزم أن يخضع له - ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضا بسبب الضمير، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه. فاعطوا الجميع حقوقهم: الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام » (١).

إن شرارة الحرية تريد أن تحرق طغيان الفرد ولو كان إلها، وتريد أن تنزل كل الملوك عن تيجانهم وعروشهم ...

« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا »

وقالت أوربا: نريد أن نعيش أحرارا ...

فهل نجحت أوربا في أن تحتفظ بحريتها، وهل استطاعت أن تعيش بغير دين أو إله؟؟

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٣ : ١ - ٧

مكتبتنا العربية

ماهو الدين ؟؟ وما أبرز خصائصه ؟ ؟

إن روجيه باستيد Bastide يقول « للدين تعاريف لاتدخل تحت حصر ، وكل فيلسوف يعرض علينا تعريفه ...

فهربرت سبنسر Spencer, يعرف الدين بأنه الشعور بأننا نسبح فى خضم من الأسرار ، وماكس مولر Mul er يعرفه بأنه الشعور باللانهائى ، وشليرمارشر Scheleirmarcher يعرفه بالخضوع لوجود لاينالـه إدراكنا ، وفيورباخ Feuerbach يعرفه بالغريزة التى تدفعنا نحو السعادة ... ويقول دوركايم Durkheim : إن العنصر المشترك حقيقة بين جميع الديانات معنى أكثر اتساعا من ذلك وهو معنى الأمور المقدسة » (١)

ولنكتف الآن من عناصر الدين وخصائصه بعنصرين أساسيين متميزين :

١ — الاعتقاد (بإله) معبود يكون مركز الاهتمام الكلى وقبلة الاتجاه الرئيسى فى الفكر والعمل .

٢ — الاعتقاد (بعالم الغيب) الذى يجاوز نطاق الحس ، لكن يكون موضع (الإيمان) الذى يعتبر هذه الغيبيات مسلمات حقيقية ثابتة .

فلننظر الآن فى جوانب الفكر الأوربى والمجتمع الأوربى ـ ومثل ذلك فى أمريكا ، هل استطاع العالم الغربى أن يعيش بغير إله وبغير دين ؟

إن فكرة الإله ليست إلا تركيزا للاهتمامات والدوافع والعواطف حول محور أساسى ، تتبلور عنده كل المطالب الجزئية والمشاعر العرضية . وتكون هى المقياس والميزان لكل خاطر أو سلوك .

والفرد الذى يعيش لنفسه ، إنما يؤله ذاته . . . فى كل فكرة وعمل ، يزن الأمور وفقا لمصلحته الشخصية ، وقد يتسع أفقه فيكون مركز اهتمامه أسرته وأطفاله .

والفرد الأنانى على هذا النحو لم يتحرر من الانقياد لإله . بل إن هواه يطالبه بمالا يطالبه به رب السموات والأرض ، وهو فى سبيل عبادة إلهه يقيد نفسه بالكثير ، ويتنازل عن الكثير ، ويتحمل من المخاطر الكثير .

« إن الفرد الأنانى يقيد نفسه (بوجوب) إرضاء مطالب ذاته فورا . . . . ولا يعترف بعقبة تحجزه ، أو اعتبار يستحق أن يدخله فى تقديره » . انه أمام الحاح منى ضغوط مزاجه وهو لايستطيع أن يؤجل أو يلغى مطالبه... كيف وليس فى تقديره إلا حساب ذاته ؟ ؟

نحن إذن أمام إنسان مسعور ، تورقه رغباته وشهواته ، ولا يزال يلح عليه الطلب

(١) مبادئ علم الاجتماع الدينى ـ ترجمة الدكتور قاسم ص ٢٣ ـ ٢٧ .

ويندفع إلى الإجابة فلا الطلب ينتهى ولا الإجابة تسعفه فى كل الظروف فبينما نجد إله السموات والأرض رحيما لا يكلف نفسا إلا وسعها . إذا بإله الهوى لا يقبل معـــذرة ولا يرضى بتسويف .

إن الفرائض التى تفرضها أهـواء الملحد لأضخم فى كثير من أوامر الله الكبير المتعال ، والفرد الأنانى يتنازل عن الكثير فى سبيل عبادة هواه ... يتنازل عن نزعاته الاجتماعية ، ولا يأبه لمكانه من قلوب النـاس أو منزلته من المجتمع ، ويتنازل عن أشواقه الخفية ومنطقه العقلى ، ويتنازل عن تقدير ما يسمى بالصالح الآجل أو الحساب النهائى ، ويغض النظر عن منفعة الجماعة التى تعـود على جميع الأفراد ومنهم هو ذاته ... إنه يعيش فى الساعة التى هو فيها !

إن النواهى التى تفرضها أهـواء الملحد ، وتحتم عليه أن يسقطها من اعتباره ، هى تضحيات وخسائر أكبر مما يريده الله الرحيم من العباد .

والفرد الأنانى يتحمل الكثير من المخاطر فى سبيل عبادة هواه ... يتحمل مخاطر بدنية وعقلية ونفسية ، ويعيش فى جحيم من الاضطراب والتخليط ، وقد يتعرض فى سبيل تكليف عاجل من (وحى) إله الهـوى إلى سفك دمه أو تعكير صفوه أو إلغاء عقله ، وهو يدفع ضريبة البشرية آلامها وتضحياتها ونقائصها ولكن فى حدود الحلقة المفرغـة والأفق المحـدود والمجال الهزيل الذى ربط نفسه به .

إنه جحيم الدنيا يتحدر فى دركاته الملحد ، وتكلفه أهـواله من الهـزات والقلاقل والنقائض أضعاف ما يتطلبه الإيمـان بيوم الحساب !

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

* * *

وماذا وفر الناس على أنفسهم إذن حين كفروا بربهم ؟ .

آمنوا بأنفسهم ، فكلفتهم فوق ما يكلفهم دين الله . . . ولربما اتسع نطاق عقائدهم ومذاهبهم فآمنوا (بالجماعة) أو (الأمة) أو (الدولة) وحـدها دون سواها ، فإذا بالحرب الضروس تقوم بين جماعة وجماعة ، أو بين أمة وأمة ، أو بين دولة ودولة . . . صراع بين الآلهة التى آمن بها من يريدون أن يؤمنوا بغير (إله) ، فكأننا فوق (جبل الأولمب) حيث لا تكف آلهـة الإغريق الأسطورية عن القتال ! وتناثرت المذاهب فوق الرءوس المتطايرة فى الصراع ، فإذا بنـا أمام

مكتبتنا العربية

أديان جديدة بأسماء أخرى تملك على أتباعها مشاعرهم وتأخذ عليهم عقولهم وتفكيرهم ، وإذا بنا أمام عصبيات جديدة مجنونة تسوق البشر إلى مجازر صليبية جديدة باسم (سيادة الجنس) أو ضرورة (المجال الحيوى) أو انتصارا (لفلسفة من الفلسفات) . . فاشية أو استعمارية ، فردية أو جماعية . . . أو ، أو . . . حتى قال القائلون نحن فى هذا القرن العشرين نخوض (أزمـــة التمذهب ism) وتطالعنا الرايات تخفق فوق رءوسنا كل منها تريد أن تنتزع لنفسها الولاء والانقياد . . . أو (العبادة) ـ مع الاعتذار لأعداء الدين!

والولاء الجماعى كلف الناس ما كلفهم الهوى الفردى من شطط . . . وليقل لنا ذلك دوركايم حتى نصدقه :

« تمتاز الظاهرة الاجتماعيـة بأنها خارج شعور الفرد ، وتمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة هى السبب فى أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . حقـا إننى لا أشعر بهذا القهر أو لا أكاد أشعر به حين أستسلم له بمحض اختيارى ، وذلك لأن الشعور بالقهر فى مثل هذه الحال ليس مجديا . ولـكن ذلك لا يحول دون أن يكون القهر خاصة تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقابلته بالمقاومة . . . وذلك إما بأن تحول دون نفاذ فعلى إذا كان ثمة متسع من الوقت قبل وقوعه ، وإما بأن تمحو ما يترتب عليه من الآثار ، أو تضعه فى قالب طبيعى إذا كان قد نفذ بالفعل وكان جبره ممكنا ، وإما بأن تلزمنى بالتكفير عنه إذا لم يمكن جبره بحال . . وإذا كنت من أرباب الصناعة فليس ثمة ما يمنعنى من استخدام الأساليب وطرق الصناعة التى كان يستخدمها الناس فى القرن الماضى ، ولـكنى لو فعلت ذلك للحق بى الدمار ما فى ذلك شك . ولو فرضنا أننى تمكنت فى الواقع من الخروج على هـذه القواعد ومن خرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلا بشرط أن أضطر إلى صراعها ، ولو فرضنا أننى استطعت التغلب عليها فى نهاية هذا الصراع فإنها سوف تشعرنى بقوة قهرها إلى حـد كاف ، وذلك بسبب ما سألقاه من مقاومتها . وليس ثمة مجدد إلا واصطدمت محاولاته بمقاومة من هذا القبيل ، حتى لو كان مجددا سعيد الطالع [١] »

فأين يذهب الإنسان ؟ ؟

هـل فى وسعه أن يعيش بغير دين وإله ، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه ، إن استطاع أن ينتزع نفسه من الكون والحياة ؟ ؟

---

[١] قواعـد المنهج فى علم الاجتماع — ترجمة الدكتور قاسم ص ٣٢ ـ ٣٣ .

مكتبتنا العربية

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا .... لا تنفذون إلا بسلطان » .

« قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا . . . ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . . . كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران . . . »

« ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

*

وإذا كانت الحضارة المادية قد نصبت للأفراد آلهتهم التى لا يخطئونها فى قصد ، ولا ينفكون من ربقتها فى سلوك ، فإن لهذه الفلسفة المادية (غيبها) الذى يحاول أن يرضى فى الإنسان أشواقه الخفية . . . . أو يحاول الإنسان باستسلامه لهذا الغيب أن يرضى أشواقه الخفية .

كتب جوستاف لوبون عن (الأصبغة الدينية التى تصبغ بها عقائد الجماعات) يقول : « ولهذا الشعور ميزات بسيطة جداً . وهى عبادة موجود افترض سموه وخشية ما يعزى إليه من القدرة ، والانقياد الأعمى لأوامره وتعذر الجدال فى تعاليمه . والرغبة فى نشر هذه التعاليم وعد كل من يرفض اعتناقها عدوا . ويظل ذلك الشعور الدينى من جوهر واحد على الدوام ، سواء أطبق على إله خفى أو على صنم حجرى أو على مطلب أو فكر سياسى ، وتجد فى ذلك الشعور ما فوق الطبيعة وما هو معجز على السواء ، والجماعات تلبس مثل هذه القدرة الدينية ما يغريها على التعصب من صبغة سياسية ، أو زعيم منصور حينا من الزمن . ولا يكون الإنسان متديناً إذا عبد إلها فقط ، بل يصبح متديناً أيضا عند ما يضع جميع منابع نفسه وجميع انقيادات إرادته فى خدمة قضية أو موجود غدا غاية المشاعر ورائدها ويمكن أن يقال إذن : إن جميع المعتقدات ذات صبغة دينية . . .

لا بد للجماعات من دين ، ولا تستقر المعتقدات السياسية والإلهية والاجتماعية بالجماعات إلا باكتسابها شكلا دينيا على الدوام فيكون به فى حمى من الجدل ، ولو أمكن حمل الجماعات على الإلحاد لاكتسب هذا الإلحاد ما فى الشعور الدينى من شدة تعصب ولأضحى

فى وجوهه الظاهرة ضربا من العباد ة بسرعة . ولنا فى تطور المذهب الوضعى مثال طريف على ذلك : ويشابه هذا المذهب ذلك العهد من Nihiiisre الذى روى دستويفسكى لنا قصته فقد سطعت أنوار العقل على هذا العرض ذات يوم فحطم صور الآلهة والقديسين التى كانت تزين هيكل معبده الصغير ، وأطفأ الشموع ولم يبدد من الوقت ثانية ! ! . . . فأحل محل الصور المحطمة كتب بعض الفلاسفة الملحدين كبوخز ومولشوت ثم أشعل الشموع ثانية بورع ! ! .

أجل : لقد تحول موضوع معتقداته ، الدينية ، ولكن أيمكن أن يقال . إن مشاعره الدينية تغيرت ؟ ؟ ! » . (١)

هذه الحقيقة التى أبرزها الفيلسوف لوبون يقررها علم النفس بالنسبة للفرد ، وعلم الاجتماع بالنسبة للمجتمع على السواء .

يقول الدكتور عبد المنعم المليجى عن نفسية المراهق .

« ونحن نعلم أن المراهق - برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاعه ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصوراته . . . واكتساب بعض العلم بالعلوم والفنون المختلفة دون أن يتمثلها تمثلا كافيا يضع تحت تصرفه مادة يستغلها فى الجدال والمحاجة ، فيتلاعب بالألفاظ الضخمة ويكلف بالصيغ والتراكيب ويتشدق بالمصطلحات العلمية والفلسفية ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب فى حين أن كتابته تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر . . ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ علمى أو مذهب فلسفى يرضى تطلعه ونزعته ، إلى التحرر ، حتى يتحمس له تحمسا هو أقرب ، إلى التعصب ، منه إلى الفكر العلمى الرزين . فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية أو الأفكار الفلسفية المتحررة ، فهو لا يفيد اتجاها موضوعيا أو منطقيا فى التفكير ، بل يفيد منها ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهائى . وليس يخاف علينا انتشار كتب وآراء بعينها بين جمهور المراهقين فى الشطر الأخير من المراهقة من أمثال داروين ونيتشة وماركس ، وليس يخاف كذلك كيف أن كتابات هؤلاء كانت لدى بعض المراهقين بمثابة كتب مقدسة تحتل فى نفوسهم ما تحتله الكتب السماوية لدى المؤمنين من مكانة رفيعة .

ونحن نجد الدليل على ذلك من مذكرات رجل نبيل (سلامة موسى) ثم يقول : (... ولكنى أذكر أنى وأنا دون العشرين أحسست أن نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وأنها قد حملتنى واجبا روحيا ،

(١) روح الجماعات ترجمة زعيتر ص ٦٨ - ٧٠ .

مكتبتنا العربية

وقد نما هذا الواجب فى نفسى إلى واجبات [١] وهكذا يشغل الفرد (الفراغ النفسى) ويسد (الجوعة الروحية) بأى بديل يستغرقه نفس الاستغراق .

وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع أيضا ، جاء فى كتاب ما كيفر و بيج عن (قواعد الدين وقواعد السلوك) :

« ... إن بعض العبادات الخلقية مثل عقيدة أوجست كونت بشأن (المذهب الوضعى) أو جمعية الثقافة الخلقية المعاصرة تدعى أنها دينية أيضا ، وإلى جانب ذلك يوجد ما يمكن أن نسميه (الديانات البديلة) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التى تصاحب أداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية ـ بل مضادة للدين، كما هى الحال فى بعض تعبيرات الشيوعية أو فى أى دستور اجتماعى غير ذلك [٢] » .

فأين يهرب الناس من نوازع أنفسهم ؟ ؟ ألا يتواضعون للحقائق ويتأملون رصيد التجارب الإنسانية الذى خرج منه الأستاذ العقاد بتقريره الدقيق « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الحياة البشرية ، لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ولأن الحاجة النوعية بيولوجيه تتحقق أغراضها فى كل زمن وتتوافر أسبابها فى كل حالة ولا زال الإنسان بعد تحقق أغراضها ، وتوفر وسائلها فى حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة فى كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه فى الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر فى النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه فى هذا الكون أو فى هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة، ويتعلق من الدين بمعنى الحياة ... فالإيمان ضرورة كونية لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان فى قدرة الرسل والأنبياء . فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم فى الجنس والزمن والموطن والمصلحة ـ فليس هذا عمل فرد ، ولا هو مما يقع بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى الكون ، لا يفلح الرسل والأنبياء فى نشر دعوتها إلا بمكان فى تلك الدعوة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين ...

وقد رأيت أناسا يبطلون الأديان فى العصر الحديث باسم الفلسفة المادية ، فإذا بهم يستمدون من الدين كل خاصة من خواصه

« ١ » تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

« ٢ » المجتمع ـ ترجمة الدكتور على عيسى ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤

مكتبتنا العربية

وكل لازمة من لوازمه ، ولا يستغنون عما فيه من عنصر الإيمان والاعتقاد التي لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجردونه من قوته التي يبثها في أعماق النفس لأنهم اصطنعوه اصطناعا ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصيل. فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة في دورات متسلسلة ، تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء . ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعيـــة ، فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هـــذه السنة أو بعدها بيضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدي الذي يدوم ما دامت الأرض والسموات وتنتهي إليه أطوار التاريخ كما تنتهي بيوم القيامة في عقيدة المؤمنين بالأديان . ولا يكلف دين من الأديان أتباعه تصديقا أغرب من هذا التصديق ولا تسليما أتم من هذا التسليم ، ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه وهو الرأسمالية الخبيثة ، فكل ما في الدنيا من حسن ... أو فكرة سوء فهو كيد من هـــذا الشيطان الماكر المريد . . . ولما طبقت هذه العقيدة على أيدي أصحاب الفلسفة المادية خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها عن كل ما اعتقده الإنسان في جميع الأزمان ، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان ، وادخروها للزمن كله بل للأبد كله . ولكنهم لم يصطدموا صدمتهم الأولى في الحرب العالمية الأخيرة حتى لجأوا إلى الوطن وإلى الديانة . . .

وفحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة (الضرورية) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعبث بها العابثون كلما طاف بأحدهم طائف من الوهم أو طارت برأسه نزعة عارضة لا تثبت على امتحان «١»

هذه الصورة الدقيقة للأديان البديلة الكلية الشاملة totalisme يبرزها « نهرو » كذلك حيث يقول .

« ما هي الماركسية ؟ إنها طريقة لتفسير التاريخ والسياسة والاقتصاد والحياة والنزعات البشرية ، وهي نظرية ودعوة لعمل ما ، وفلسفة تتناول جميع نواحي النشاط الإنساني ، ومحاولة لجعل التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله نظاما منطقيا يحمل في طياته مصائر محتومة كالقدر ، ولكن الناس يشكون في كون حياتهم منطقية بهذا الشكل ومعتمدة على قواعد مقطوعه مبتوت فيها » «٢» وكم من نبوءات ماركس لم تصب التحقيق ؟ ؟

«١» من مقدمة الفلسفة القرآنية .

«٢» لمحات من تاريخ العالم ـ طبع بيروت ص ١٦٨ .

مكتبتنا العربية

لا ملجأ من الله إلا إليه . . .

تلك عبرة الواقع ، وما أفدح الثمن الذى دفعته البشرية للتخلص من الدين والإله . . .

لقد رفعت فيما أرادت ان تتوقاه . . . وآمنت بأضعاف ما أرادت أن تتحرر منه حين تكفر بالله .

أما المؤمن بالله ، فهو كافر بكل ما عداه :

يؤمن بالله فيتحرر من كل الضغوط والنزوات ، وتنطلق قواه التى لا ترضخ لغير فاطرها ، والتى يكسبها الإيمان قوه دافعة إذ يرضى الأشواق الخفية ويحطم أغلال الآلهة الباطلة الظاهرة ويوازن بين شتى الدوافع والاحتياجات :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وكم تتبدد طاقات الناس بين الضعف الكسير والكبر المغرور . . . وكم تضيع فى التخبط والتمزق قوى كانت تأتى بربح أوفر لو أنفقت فى الاعتقاد المستنير المتجه إلى قبلة واحدة ومعبود ليس له شريك .

« قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

يريد الإنسان أن يتحرر من الخوف حتى من الله . فإذا به يخاف من القطة السوداء ، ورقم ١٣ ، وتشكيلة عجيبة من أوهام التشاؤم ويتفاءل بتشكيلة أخرى أعجب من ألوان المبشرات !!

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم »

« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين.

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ، حبطت أعمالهم ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ »

« فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ؟ فأنى تصرفون » .

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ؟

فتحى عثمان

مكتبتنا العربية

من رجالات الإسلام

السيد أحمد خان

مؤسس جامعة عليكره

بلغ تدهور الشعوب الإسلامية أدنى درجاته فى القرن التاسع عشر ، وما أن ابتدأت موجة المد ترتفع قليلا حتى هبت بعض الشخصيات اللامعة تقود حركة التقدم فى شتى الأقطار الإسلامية . وكان منهم من قاد حركات على نطاق دولى وآخرون قصروا جهودهم على الميدان القومى . وكان بعض هذه الحركات يقوم على أساس دينى ، والبعض الآخر على أساس دستورى ، وحركات تقوم على أساس ثورى أو سلبى لا تتعداه . فمحمد بن عبد الوهاب ، زعيم الحركة الوهابية فى نجد ، كان زعيما دينيا لم يعبأ بالشئون السياسية والاقتصادية أما محمد أحمد ، الذى ادعى بأنه المهدى ، فقد شن حربا فى السودان قامت على أسس دينية سياسية ، كان القصد منها تحرير السودان من السيطرة الأجنبية . أما ثورتا عرابى فى مصر والشيخ عبد القادر فى الجزائر فلم تأتيا بالنتيجة المطلوبة . وحارب الشيخ شامل حكومة القيصر فى جبال داغستان (القوقاز) سنوات عديدة دون أن يحقق أهدافه . وحاول اسماعيل جاسبرنسكى أن يقنع حكومة روسيا باتباع موقف ودى مع المسلمين الروس بينما قام مدحت (باشا) بتكوين حكومة دستورية فى تركيا افتتح السلطان عبد الحميد نفسه أول برلمان فيها .

أحمد خان يهب للعمل . . .

فى مثل هذه الظروف هب السيد أحمد خان لقيادة حركة النهضة فى شبه القارة الهندية الباكستانية . والسيد أحمد هو سليل عائلة عريقة فى دلهى ، وقد ارتقى مناصب الدولة حتى عين وزيراً لآخر ملك من ملوك « الحصن الأحمر » . وقد ألجأته الظروف إلى العمل فى شركة الهند الشرقية وأن يظل فى خدمة « التاج » بعد عام ١٨٥٧ . وقد أنقذ حياة عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات وعرض نفسه فى سبيل ذلك الأخطار . وشاءت الحكومة الجديدة أن تكافئه على هذه الخدمات

مكتبتنا العربية

ولكنه رفض عطاياها الضخمة مكتفيا بما كان يناله من معاش ضئيل . وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى عام ١٨٧٦ . وبعد أن شاهد حالة الرعب التى سادت عام ١٨٥٧ وأعمال الانتقام التى كان يقودها الحكام الجدد للقضاء على المسلمين فى الهند ابتدأ عقله الكبير ذو الحساسية الشديدة يبحث عن وسائل لقيادة حركة النهضة . ولما كان موظفا حكوميا فقد حيل بينه وبين الاشتراك فى نواحى الحياة العامة ، إلا ما تعلق منها بالشئون الثقافية . واختط السيد أحمد لنفسه طريقا مناسبا للظروف ، وكانت جميع القرائن توحى بأن هذا الطريق سيؤتى أكله . وذلك لما عرف عن السيد أحمد من عبقرية نادرة . وقد شعر السيد أحمد منذ البدء بأنه إذا رغب مسلمو شبه القارة الهندية فى إنقاذ أنفسهم من الفناء فإن عليهم أن يتعلموا اللغة الانجليزية وأن يشتركوا فى إدارة دفة البلاد بالقدر الذى يسمح به البريطانيون لرعاياهم من الهنود . كما أنه طلب من المسلمين أن يقدروا مدنية أسيادهم الجدد وثقافتهم حق قدرها ، وأن يدرسوا خلف العلوم التى جعلت الغرب يسبقهم بمراحل طويلة ويتركهم فى المؤخرة . واستهل السيد أحمد أعماله بافتتاح مدارس ثانويه وعليا فى بنارس وجازيبور ومرادأباد . وكانت هذه البداية محدودة ولكنها كانت تشير إلى الاتجاه الذى يسلكه عقله المفكر . فقد أراد من المسلمين أن يطرحوا رداء اليأس والقنوط ويحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وكان من الطبيعى ألا يصادف نداءه هذا أذانا صاغية لدى أمته فى بادئ الأمر وخاصة وأنها كانت سادرة فى خمولها وجهلها ، ناظرة بعين الازدراء إلى ذلك التطور الذى كان يصيب شتى مرافق البلاد ولا يستفيد منه إلا الهندوس فإذا ما هاجم القادة الاجتماعيون ، والزعماء الدينيون دراسة اللغة الانجليزية والعلوم الغربية فإنهم إنما كانوا يفعلون ذلك تعبيراً عن خواطر الأمة وتنفيسا عن حقد دفين لم يكن له ما يبرره .

وابتدأ عمله الحقيقى بعد استقالته من وظيفته الحكومية لدى بلوغه التاسعة والخمسين ، وقد بدأ هذا العمل فيما أطلق عليه « حركة عليكرة » وكان فى ذلك الوقت قد تمكن من التفرغ لمتابعة تحقيق الحلم الذى طالما راوده . واستهل هذا العمل بإنشاء جمعية عليكرة العلمية وذلك لكى يفتح أذهان بنى قومه ويبصرهم بشئون التقدم العلمى الذى وضع زعامة العالم فى أيدى الدول الغربية . وابتدأت ترجمة هذه الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأوردية كما ألفت كتب عديدة حول الموضوعات الهامة كالتاريخ والدين ، ألفها بعض العلماء المشهورين .

وإذا كانت عظمة الزعيم تقاس بالرجال

مكتبتنا العربية

الدين يحيطون به فإن شخصيات شيراغ على ، وحالى ومحسن الملك ، وذكاء الله ونذير أحمد وغيرهم من الخلصاء والمساعدين لجديرة بأن تمنح الرجل صفات العظمة . ولم يقتصر عمل السيد أحمد على حث الآخرين على النهوض بالأدب الأوردى بل إنه ألف بنفسه كتبا كثيرة باللغة الأوردية ، وقدم للبلاد أسلوبا حديثا لهذه اللغة . ولم يشأ السيد أحمد خان أن يقصر ميدان نشاطه على الطبقة المثقفة المتعلمة بل أراد أن يشمل هذا النشاط جميع طبقات الشعب ، فأنشأ لهذا الغرض مجلة أسبوعية سماها « تهذيب الأخلاق » وراح يحاول فيها تهذيب فكرة الإسلام التى كانت قد علقت بها الشوائب فى ذلك الحين . وقد أحدثت هذه الصحيفة نشوة خاصة بين طبقات المتدينين .

وكانت الخدمات الدينية التى قدمها السيد أحمد متعددة متشعبة أنارت بصيرة بنى قومه الذين كانوا يغطون فى سبات عميق . ومن بين هذه الخدمات صحيفة « تهذيب الأخلاق » التى غزت جميع الأوساط ومنها تعليقاته العالية على القرآن التى ظهرت بعد وفاته ، ومنها كتابه الجرىء ومقالاته عن حياة محمد الذى ألفه ونشره فى لندن . وقد ألف السيد أحمد خان هذا الكتاب رداً على كتاب « حياة محمد » للسير وليم موير . وتتلخص المبادئ التى تنطوى عليها كتاباته الدينية فى إمكانية تفسير الدين تفسيراً منطقيا بحتا . وتشمل هذه المبادئ كذلك أن الدين إذا كان دينا حقا فيجب ألا يتعارض مع مكتشفات العلم الحديث لأنه يؤمن باستحالة تعارض ما يصدر عن الله جل جلاله من عمل وما يوحى به من الكلام . وقد أكسبت هذه الآراء السيد أحمد صفة « الرجل الطبيعى » وهى صفة غامضة ترادف فى معناها كلمة « الملحد » ، وهذا خلاف الواقع . ولكن السيد أحمد لم يسمح لهذه المعارضة الشديدة بأن تنال من عزيمته ، واحتفظ بروحه العالية حتى النهاية . بل إن هذه المعارضة الشديدة قد زادت عزيمته مضاء وضاعفت من جهوده حتى قضى عليها . ولم يمض جيل واحد على وفاته حتى وضع زعماء مدرستى « ديوبائد » و « فرنجى محل » أيديهم فى أيدى أتباع مدرسة عليكرة فى حركتهم الجديدة .

مكتبة سياسية

ويحتل كتابه « أسباب العصيان الهندى » الذى أسرف فى إطرائه مستر هيوم ، مكانة مرموقة على الرغم من صغر حجمه . وقد ألفه السيد أحمد رداً على كتاب « مسلمى الهند » الشهير الذى ألفه و . هنتر وانتقد فيه المسلمين وطلب فيه من الحكومة أن تأخذ حذرها منهم . وقد وضح هذا الكتاب

للبريطانيين ، بما فيه من تحليل رائع أخاذ ، فداحة الأخطاء التي يرتكبونها في الهند ، وأبان لهم مسئوليتهم عن الحوادث التي وقعت عام ١٨٥٧ . فهو يقول أن أسباب وقوع هذه الحوادث ترجع إلى عدم إشراك الهنود في إدارة شئون بلادهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشئون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . وجدير بالذكر أن السيد أحمد خان كان يطبع هذه الآراء الجريئة وينشرها في وقت كانت كل الهند تئن فيه تحت وطأة الأحكام العرفية . وعلى الرغم من جميع الخلافات التي كانت قائمة بين الهندوس والمسلمين حول المسائل الدينية والنظرة الاجتماعية فإن السيد أحمد خان كان يشعر دائماً بأن العمل المشترك لابد وأن يؤدي في النهاية إلى وحدة وتفاهم في الميدان السياسي . وقد قام زعيم حركة عليكرة بقيادة حركة المطالبة بحقوق الهنود وحريتهم في المجلس التشريعي للحاكم العام ، على الرغم من ضآلة ما يعرفه من اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن يسمع أحد « بالمؤتمر الهندي الوطني » بسنوات عديدة ، ولا يزال خطابه الشهير عن الحكم الذاتي في الهند يجد صدى لدى جميع الذين يطالبون بالحرية . ويروى أن مؤسس « المؤتمر الهندي الوطني » ، مستر ا . هيوم ، قال لصاحب زاده افتاب أحمد خان : « إنني لم أشعر بحاجتنا إلى معرض للآراء في الهند إلا بعد قراءة كتاب السيد أحمد خان (أسباب العصيان الهندي) » وتلا ذلك تأسيس حزب المؤتمر الهندي الوطني . أما النصيحة التي قدمها السيد أحمد خان للمسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر فقد جاءت بعد تأسيسه بفترة طويلة ، وكانت وليدة تجارب مريرة ، فقد بدأ حركته بتشبيه الهندوس والمسلمين بعيني الدولة ، ولكنه ما أن اكتشف أن الهندوس يعملون على إزالة كل أثر للثقافة الإسلامية وعلى إزالة معالم اللغة الأوردية حتى غير موقفه وطلب من المسلمين الابتعاد عن هذا الحزب .

وقد جاء دفاعه المجيد عن تمثيل الهنود في الهيئات التشريعية بعد أن راقب عن كثب كيفية إدارة الحكم الديموقراطي في البلاد والسياسة التي يتبعها زملاؤه الهندوس في المجلس التشريعي . وقد ألقى السيد أحمد خان في يناير عام ١٨٨٣ خطابا أثناء مناقشة مشروع قرار اللورد ريبون عن الحكم الذاتي فقال :

«إن نظام التمثيل النيابي عن طريق الانتخاب يعني تمثيل رأي أغلبية الشعب ومصالحها . وهذا النظام هو أصلح النظم للبلاد التي تضم

مكتبتنا العربية

عنصراً واحداً يمثل عقيدة واحدة . أما فى بلد كالهند حيث لا يزال التمييز العنصرى سائدا ، وحيث ينعدم تمازج العناصر المتفرقة ، وحيث التمييز الدينى لا يزال على أشده ، وحيث عجز التعليم عن تقديم الفرص المتكافئة لجميع العناصر ، فإننى أعتقد أن أتباع مبادئ الانتخابات المعروفة لتمثيل مختلف المصالح فى المجالس المحلية والمجالس الإقليمية لن يؤدى إلا إلى نتائج وخيمة لا تقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . إننا لا نستطيع أن نأمن عثرات هذا النظام الانتخابى المألوف ما دامت الخلافات قائمة بين العناصر والأديان ، وما دام التمييز العنصرى يشكل عاملا هاما من عوامل التكوين الاجتماعى السياسى فى الهند ، ويؤثر على سكان الهند فى المسائل التى تتعلق بإدارة شئون البلاد ورعاية مصالحها . ففى مثل هذه الحالة ستتحكم طائفة الأغلبية فى مصالح الأقلية الضئيلة » .

ونقتطف فيما يلى نبذة من ترجمة حياة السيد أحمد التى ألفها « حالى » وهى تعطينا صورة واضحة عن رجل سياسى تنبأ بوقوع حوادث فى المستقبل انتهت بتأسيس دولة الباكستان :

« اتخذ بعض زعماء الهندوس فى بنارس عام ١٨٦٧ قرارا بوقف استخدام اللغة الأوردية التى تكتب بأحرف فارسية فى دواوين الحكومة بقدر الإمكان والاستعاضة عنها باللغة الهندوسية . وكان السيد أحمد يقول دائما : إنه ابتدأ يشعر بعد هذا القرار بأنه قد أصبح من المتعذر على المسلمين والهندوس أن يكونوا أمة واحدة ، كما أصبح من المتعذر على طرف من الطرفين العمل من أجل الطرفين معا . وهذه هى كلماته فى هذا الموضوع :

« فى هذه الأيام التى اشتد فيها الصراع بين اللغتين الأوردية والهندوسية فى بنارس قابلت مستر شكسبير ، المندوب البريطانى هناك ، وكنت أحدثه عن شئون تعليم المسلمين وهو يستمع إلىّ والدهشة تعلو وجهه ثم قال : هذه هى المرة الأولى التى أستمع فيها إليك وأنت تتحدث عن تقدم المسلمين وحدهم . لقد كنت دائما حريصا على أن تتكلم عن مصالح بنى قومك جميعا . فقلت : لقد اقتنعت الآن بأن هاتين الأمتين لن يقدر لهما الاتحاد حول أى موضوع أبدا .

نضال من أجل التعليم :

وكان السيد أحمد يعتقد أن حاجة المسلمين إلى تعليم صحيح يقوم على أسس سليمة تزيد على حاجتهم إلى كفاح سياسى . ولهذا فقد أسس أعظم مركز للتعليم الإسلامى الحديث والثقافة الإسلامية فى شبه القارة الأوروبية - جامعة عليكرة الإسلامية - وقد ابتدأت هذه الجامعة كمدرسة صغيرة تضم اثنى عشر

مكتبتنا العربية

تلميذا ، واتخذت أول مقر لها فى أحد مساكن الضباط المهجورة فى معسكر عليكرة . ثم نمت حتى أصبحت الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية عام ١٨٧٦ ، وكان مؤسس هذه المدرسة يهدف من وراء هذا المشروع إلى تكوين « قرطبة » جديدة فى الشرق تحث على البحث الحر والتسامح وتدرس خير ما فى الشرق والغرب معا ، وتحاول خلق فرع من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية ، لقد شاهد السيد أحمد أكسفورد وكمبردج ودرس فيهما فائدة نظام الحياة الجامعية : وقد وقفت سياسة الحكومة العاملة والقوانين التى تقيد تقديم المساعدات المالية للمدارس دون تحقيق هذا المشروع . ولذا فقد قنع السيد أحمد بتأسيس أكبر كلية داخلية فى البلاد ، وترك للمستقبل مسألة تحويل هذه الكلية إلى جامعة أحلامه .

وابتدأت بإنشاء هذه الكليات حركة عليكرة ، وهى أكبر حركة من نوعها صادفت نجاحا كبيراً فى العالم الإسلامى . وقد وضع السيد أحمد نصب عينيه منذ البدء ألا يقتصر نشاط هذه الكلية على الإقليم الذى أنشئت فيه وتحقيقا لهذا الغرض قام بزيارة جميع المراكز الإسلامية فى الهند وحث مسلمى جميع الأقاليم فى المؤتمر التعليمى الإسلامى على فتح المعاهد التعليمية فى مناطقهم . وازداد نجاح الحركة وابتدأ شبان المسلمين يدخلون وظائف الحكومة وميدان الأعمال الحرة . وارتقى البعض أرقى مناصب الدولة وتزعم البعض الآخر ميادين القانون والطب والهندسة والصحافة وغيرها من المهن . ولم يكن هذا ليحدث بدون هذه الحركة التى رفعت شأن المسلمين بعد أن طال عليهم الأمد وهم فى الحضيض من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . وضمت حركة عليكرة فضلا عن الطلاب الذين قدموا إليها من شتى أنحاء الهند طلابا من بورما والملايو وسيلان وجنوب إفريقيا وشرقها وأفغانستان . وانبعثت عن هذه الحركة حركتا « خدام الكعبة » و « حركة الخلفاء » ، وقد نظم حفلة تنصيب نائب الملك فى عام ١٩٠٦ النواب محسن الملك خليفة السيد أحمد فى عليكرة وكان ظهور حزب الرابطة الإسلامية نتيجة منطقية لهذه الحركة وكان زعماء هذا الحزب يستنيرون بآراء نواب وقار الملك فى عليكرة .

وليس هناك أدنى شك فى أن جميع مظاهر نهضة المسلمين فى شبه القارة تعود فى أصلها إلى حركة عليكرة . لقد أحيا السيد أحمد بحركته هذه نظاما من الفوضى ، وكون كتلة إسلامية فى العالم من بين أنياب البؤس وأعدها لتكون مصيرها على صورة « الباكستان » .

م ٤٨

مكتبتنا العربية

الإسلام والفلسفة

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يبدو أن كتاب الغزالى المعنون « تهافت الفلاسفة » قد جر على الغزالى الاتهام بأنه عدو الفلسفة ، وجر على الإسلام بالتالى تهمة العداء للفلسفة .

فهل صحيح أن صاحب « تهافت الفلاسفة » عدو للفلسفة ؟ وأن الإسلام عدو للفلسفة كذلك ؟

أريد أن أعرض رأيى فى هذه المسألة آملا أن يصل صوتى إلى آذان كان لأصحابها كلام عاجل حول هذه المسألة ، فى مجلس ضمنى بهم ، ولكنه مع عجلته صريح فيما يريدون .

والظروف التى اضطرتهم إلى العجلة فيما يقولون هى نفسها التى حالت دون تعقيبى على ما يقولون . ولكن إذا كانت فرصة التعقيب الشفوى قد فاتت ، فلا أحب أن تفوت الفرصة كلية ؛ ذلك لأنى لا أعرف المجاملة فى العلم ، فللعلم عندى قدسية تسمو على المجاملة ؛ ولأن نفسى لا تطاوعنى أن أقف من آراء تبينت لى صحتها موقفا سلبيا وهى تهاجم ، ولا أن يعرف الناس عنى هذا الموقف .

ولن يحملنى كل ذلك على أن أتعصب أو أتحامل ؛ لأن قدسية العلم التى أراها تسمو على المجاملة ، أرى أن التعصب لها بغير حق امتهان لها وافتيات عليها .

والآن ، هل فى تأليف الغزالى لكتاب « تهافت الفلاسفة » ما يصحح القول بأنه هو والإسلام معا عدوان للفلسفة ؟ لنأخذ الأمر مسألة مسألة ، ولننظر أولا فى موقف الغزالى من الفلسفة . ولأضع بين يدى القارئ النص التالى من كتاب « تهافت الفلاسفة » يقول الغزالى ص ٧٧ ط ٣ دار المعارف :

« ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

قسم يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم ، تعالى عن قولهم ، جوهرا ، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا فى موضوع ، أى القائم بنفسه الذى لا يحتاج إلى متقوم يقومه ، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز ، على ما أراده خصومهم .

ولسنا نخوض فى إبطال هذا ؛ لأن معنى القيام بالنفس إذا صار متفقاً عليه ، رجع الكلام فى التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى

مكتبتنا العربية

إلى البحث عن اللغة . وإن سوعت اللغة إطلاقه رجع جـــواز إطلاقه فى الشرع إلى المباحث الفقهية ؛ فإن تحريم إطلاق الأسامى وإباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع .

ولعلك تقول : هذا إنما ذكره المتكلمون فى الصفات ، ولم يورده الفقهاء فى فن الفقه . فلا ينبغى أن تلتبس عليك حقائق الأمور بالعادات والمراسم ، فقد عرفت أنه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الأفعال .

القسم الثانى : ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم — منازعتهم فيه كقولهم : إن الكسوف القمرى عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس . من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة ، والسماء محيط بها من الجوانب ؛ فإذا وقع القمر فى ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس .

وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة .

وهذا الفن أيضا لسنا نخوض فى إبطاله ؛ إذ لا يتعلق به غرض ؛ ومن ظن أن المناظرة فى إبطال هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضعف أمره ؛ فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية . لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء . إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يسترب فى الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ قلنا : وليس فى هذا ما يناقض ما قالوه ؛ إذ ليس فيه إلا نفى وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده ، والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا ؟

فإن قيل : فقد روى أنه قال فى آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشىء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ، وإنما المروى ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحا لكان

مكتبتنا العربية

تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد ؟ وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك .

وهذا لأن البحث فى العالم عن كونه حادثا أو قديماً . ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا ، أو مسدساً أو مثمنا ، وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه ، أو أقل أو أكثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهى كنسبة النظر فى طبقات البصلة وعددها ، وعددحب الرمان ، فالمقصود كونه من فعل الله فقط ، كيفما كان .

القسم الثالث : ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول فى حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الأجساد والأبدان ، وقد أنكروا جميع ذلك .

فهذا الفن وظائره هو الذى ينبغى أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه » .

وليعذرنى القارئ إذا أثقلت عليه بذكر نص طويل كهذا ؛ فإن المقصود أن نشركه فى الأمر ، وأن نضع حيثيات حكمنا كاملة بين يديه ، والتلخيص وحكاية الرأى فى غير عبارة صاحبه يفوتان هذا القصد .

ومن النص يتبين أن الغزالى فى حديثه عن القسم الأول من أوجه الخلاف بين من ينصب نفسه مدافعاً عن الدين ، وبين غيره ممن لا يتخذ الدفاع عن الدين غرضا من أغراض تفكيره ، يهتم بالمعانى أكثر مما يهتم بالألفاظ وإذا كان قد انتهى آخر الأمر إلى ضرورة الرجوع إلى الفقه لأخذ إذن منه باستعمال ألفاظ مستحدثة فى مجالات الدين ، فهو يعلم أبلغ العلم ـ لأن له أبحاثا فى الفقه تنبئ عن تضلعه فيه ـ أن الفقه لا يمنع من هذا الاستعمال ؛ لأن من أقواله الراجحة ، أن هذا الاستعمال مباح ، متى سلم المعنى .

ولنترك القسم الأول ؛ فإن خطره فيما نحن بصدده من أمر ، ضئيل ، ولننتقل إلى القسم الثانى ، وهو ـ عند الغزالى ـ كل أمر من الأمور التى لا تعالج أصلا من أصول الدين . وما أوسع مجال هذا القسم وأبعد مداه ، فهو يشمل المسائل الطبيعية كلها ، يشمل بحث الأرض وما تحتويه من معادن وعناصر ونبات وحيوان ، وإنسان ، ويشمل السماء وما تحتويه من كواكب وأفلاك وهواء ، ويشمل المنطق والرياضيات .

وإذا كان الاستثناء معيار العموم ، كما يقول رجال النحو القديم ، فان الاقتصار على إخراج المسائل التى تعالج أصول الدين ، من مجال هذا القسم إيذان بشموله وعمومه ؛ فإن المسائل التى تعالج أصول الدين معدودة محدودة .

مكتبتنا العربية

وفى هذا المجال الفسيح يعطى الغزالى للعقل البشرى حرية مطلقة يبحث ويفتش ويستنتج ويقرر كل ما يعن له من أمر . ويحرم الغزالى تحريما باتا قاطعا أن يتدخل إنسان فى هذا المجال باسم الدين . ويسلك الغزالى فى بيان ذلك التحريم مسلكا يشعر بأن مصلحة الدين نفسه تقضى بعدم التعرض للباحثين فى هذه المجالات ، ليكون ذلك أدخل فى إقناع من تحملهم الغيرة المفرطة على الدين أن يزجوا باسمه فى كل شأن من الشئون ، بعدم التعرض باسم الدين للباحثين فى هذه المجالات ،

وإذا كانت هذه المجالات واسعة كل السعة تتناول العلوم كلها وفروع الفلسفة كلها ما عدا فرعا واحدا منها يسمى ماوراء الطبيعة وبعض مسائل تلابسه ، وإذا كان الغزالى يعطى للعقل حقا مطلقا فى أن يتصرف فى هذه المجالات كما يشاء وكما تهديه المناهج الصحيحة ، فلا يرضى الإنصاف أن يقال عن الغزالى : إنه عدو للفلسفة لأنه ألف كتابا اسمه «تهافت الفلاسفة» اللهم إلا أن يكون الكتاب يقرأ من عنوانه .

فأية جرأة يمكن أن تساند العقل وتقف بجانبه أكبر من قول الغزالى : « كيف ولو كان صحيحا ما قيل من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن الكسوف خضوع بسبب التجلى » لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التى لا تنتهى فى الوضوح إلى هذا الحد »

يا عجباً كل العجب ؟ ! ! كيف يقال عمن يوجب تأويل النصوص الدينية إذا عارضت أموراً يقطع العقل بصحتها إنه عدو للفلسفة وإنى لأتساءل فى دهشة : هل مسائل الفلسفة قطعية ؟ أم ليست بقطعية ؟ فإن كانت قطعية فالغزالى الذى يقال عنه : إنه عدو للفلسفة يرى ضرورة التمسك بها وصرف النصوص الدينية التى تتعارض معها عن ظواهرها ؛ فماذا ينتظر منه أن يقول — لكى يرضوا عنه ولكى لا يكون فى نظرهم عدوا للفلسفة — أكثر من هذا ؟ .

وإن لم تكن مسائلها قطعية ، فهل يريد دعاة التجديد — وقت ما يكونون هم أنفسهم فى حيرة من أمر بحوثهم — أن يسبقهم الغزالى إلى الإيمان بها لكى يرضوا عنه ولا يتهموه بعداوة الفلسفة ؟ .

أستميح القارئ عذرا إذ أخرج به قليلا عن الحدود التى رسمتها للبحث وهى الوقوف مع كتاب التهافت لمعرفة هل يستحق الغزالى من أجله أن يصير عدوا للفلسفة ، لأضع بين يده فقرات من كتاب مقاصد الفلاسفة الذى ألف الغزالى ليكون تمهيداً لكتاب تهافت الفلاسفة ، حيث تبين هذه الفقرات رأى الغزالى صراحة فى تمكين العقل من البحث فى فروع الفلسفة المختلفة ، يقول الغزالى ص٢ ج ١ صبيح :

مكتبتنا العربية

« إن علومهم أربعة أقسام : الرياضيات . والمنطقيات . والطبيعيات . والإلهيات .

أما الرياضيات : فهى نظر فى الحساب والهندسة ، وليس فى ، مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل ولا هى مما يمكن أن يقابل بإنكار وجحد ، وإذا كان كذلك فلا غرض لنا فى الاشتغال بإيراده .

وأما الإلهيات ، فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها .

وأما المنطقيات : فأكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار .

وأما الطبيعيات : فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب ، وسيتضح فى كتاب التهافت بطلان ما ينبغى أن يعتقد بطلانه » .

وفى قول الغزالى عن الرياضيات « وليس فى مقتضياتها ما يخالف العقل ، ولا هى مما يمكن أن يقابل بجحد » ، ما يشير إلى أنه يتخذ العقل وسيلته فى قبول ما يقبل ورفض ما يرفض ، وكيف يقال عمن يحكم العقل فيما يقبل ويرفض : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تأبى حكم العقل ؟

وفى قول الغزالى عن الإلهيات « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر » دون قوله « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الدين » ما يشير أيضا إلى أنه يلتزم الحق والصواب ويبحث عنهما ، فهل يقال عمن يبحث عن الحق والصواب : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تبحث عن شىء غير الحق والصواب ؟

وفى قول الغزالى عن المنطقيات « إنها على منهج الصواب » ما يشير إلى أن الغزالى يحترم المنطق الذى كان معروفا فى عهده ، وهو المعروف بالمنطق الأرسطى ، ولشد ما أنا مندهش ممن أتحدث إليهم فى مقالى هذا ، أن أحدهم يقولون : إن الغزالى عدو لمنطق أرسطو وله تآليف فى نقده وتزييفه ، ولم يأت ذلك القول منهم يعنى أن الغزالى بلغ شأوا يجعله قادرا على أن يستدرك على أرسطو ويصحح بعض أخطائه ، وإنما كان يعنى أن الغزالى بلغ من السخف مبلغا جعله يتطاول على أرسطو . نعم لشد ما أنا مندهش أن أسمع عن الغزالى ذلك ، وهو الذى يقول عن منطق أرسطو فى كتاب « مقاصد الفلاسفة » : إنه منهج الصواب . وهو الذى يقول أيضا عن هذا المنطق نفسه فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ص ٨٣ :

« نعم قولهم : إن المنطقيات لابد من إحكامها

مكتبتنا العربية

هو صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وإنما هو الأصل الذى نسميه فى الكلام « كتاب النظر » فغيروا عبارته إلى المنطق تهويلا . وقد نسميه « كتاب الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » فإذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال ، واستئصال هذه الحيلة فى الإضلال نرى أن نفرد القول فى مدارك العقول فى هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والأصوليين ، بل نوردها بعبارات المنطقيين ونصبها فى قوالبهم ونقتفى آثارهم لفظا لفظا ، ونناظرهم فى هذا الكتاب بلغتهم — أى بعباراتهم فى المنطق — ونبين أن ما شرطوه فى صحة مادة القياس فى قسم البرهان من المنطق ، وما شرطوه فى صورته فى كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع فى إيساغوجى وفاطيغورياس التى هى من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشىء منه فى علومهم الإلهية .

ولكنا نرى أن نورد « مدارك العقول » فى آخر الكتاب ، فإنه كالآلة لدرك مقصود الكتاب ، ولكن رب ناظر يستغنى عنه فى الفهم فنؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج إليه ، ومن لا يفهم ألفاظنا فى آحاد المسائل فى الرد عليهم ، فينبغى أن يبتدئ أولا بحفظ كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم » .

وكتاب « معيار العلم » الذى هو منطق صرف على نهج أرسطو مطبوع موجود ، وهو شاهد مادى على أن الغزالى ألف فى تأييد منطق أرسطو واحتكم إليه فى أعنف خصوماته .

نعود إلى القسم الثالث والأخير من الأقسام التى أوردنا الأول والثانى منها . ويحد الغزالى هذا القسم بأنه الذى تصطدم فيه أفكار الفلاسفة بأصل من أصول الدين ، وحتى فى هذا القسم لا يقول الغزالى للفلاسفة : أنتم تقولون كذا ، والله يقول بخلافه ، فأنتم كاذبون والله صادق ، نعم لم يقل الغزالى للفلاسفة ذلك ، ولو أنه فعل لما جاز لنا أن ننسى ما فتح أمام العقل من ميادين متعددة فسيحة جعله فيها حراً طليقا من كل قيد ، ونذكر له فقط مسائل معدودة قيد فيها العقل بقيود ، ونتعته من أجل ذلك بأنه عدو للعقل والفلسفة ، فما بالنا وهو لم يفعل ، بل حتى فى مسائل هذا القسم التى يرى أن الفلاسفة فيها يخالفون أصول الدين ، لم يلجأ إلى قدسية الدين يصوغ منها ردوده على الفلاسفة ، وكيف والدين خصم ، والخصم لا يكون حكما ، نعم لم يلجأ الغزالى إلى الدين يفرض قدسيته على خصومه ، بل لجأ إلى العقل نفسه ورضيه حكما بين الفلاسفة والدين .

مكتبتنا العربية

فماذا يغضب الناس من الغزالى إذا كان قد استطاع أن يكشف عن أن العقل قد تخلى عن الفلاسفة فى المسائل التى صادموا فيها شيئا من أصول الدين ؟ هل يغضبهم منه أنه كشف عن أن أفكار الفلاسفة التى صادمت أصول الدين ليست جديرة بأن تسمى فلسفة ؛ لأن العقل قد تخلى عن نصرتها وتأييدها ؟ هل يغضبهم أن يكون الغزالى قد توصل إلى معرفة أن للعقل حدودا إذا جاوزها ضل ؟ وهل البحث فى قيمة العقل إلا بحث فى صميم الفلسفة ؟ حتى ولو تأدى البحث فيه إلى عدم الاغترار به ، والوقوف به عند حدوده ؛ إذ العبرة فى الفلسفة ليست بالنتائج ولكنها بالمناهج والطرائق . وقديما قال أرسطو :

(إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزيكيا)

وقال : (فلنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نتفلسف ، فإذا لم يقتض الأمر التفلسف ، وجب أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضرورة له) .

وحديثا قال بعض الفلاسفة الميتافيزيكيين عن خصومهم الوضعيين :

(إنهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم ليسوا بفلاسفة ، إن موقفهم من إنكار الفلسفة موقف فلسفى لا محالة) ؛

ذلك لأن الفلسفة ليست أفكارا معينة ، ولكنها طرائق ومناهج إذا صحت قبل ما تأدت إليه ، كان ما تأدت إليه ما كان .

* * *

هذا هو الغزالى كما يطل علينا من كتاب التهافت، فهل أنا صادق فى تصويرى له ؟ أريد أن أعرف. وإن أك صادقا ، فهل هو فى هذه الصورة ، كما نعته الناعتون ، عدو للفلسفة ولمنطق أرسطو ؟ أريد أن أعرف أيضا .

وأنتقل بعد هذا إلى الكلام عن الإسلام نفسه ، فهل الإسلام عدو للفلسفة ؟ إن فيما قلناه عن الغزالى ما يتيح لنا القول فى وضوح بأن الإسلام ليس عدو الفلسفة ؛ لأن المجالات التى أباحها الغزالى للعقل لم يكن الغزالى هو مصدر إباحتها ، ولكن الذى أباحها هو الدين، فالدين هو الذى أباح للعقل حرية التصرف فى هذه الآفاق الفسيحة بين الأرض والسماء .

وتعويل الغزالى على العقل فى نقاشه مع الفلاسفة بخصوص المسائل التى خالفوا فيها أصول الدين ، دليل على طواعية أصول الدين للعقل . إذ لو كانت هذه الأصول على غير مقتضى العقل لما تأتى للغزالى أن يناصرها بالعقل .

ولنترك الغزالى جانبا ، ونتجه إلى القرآن رأسا ، وحسبنا أن نجد القرآن لا يكتفى بأن يخول الناس حق تحكيم عقولهم فى مشاكلهم بل يجعل عقولهم حكما بينه عز شأنه وبينهم .

مكتبتنا العربية

رسالة وجوابها

بين إمام الشيعة وإمام أهل السنة

صدر عن جامعة (مدينة العلم) بالكاظمية فى العراق رسالة لسماحة الإمام الخالصى الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهنئ فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليه مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأى سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتى الإمامين فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والأباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

الرسالة

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهـــر .

أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغنى خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم فى بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فى هذه الآية تقرير لمبدأ محاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير ممكن ، للعقل؟

وكلمة أخيرة أسوقها بين يدى أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحى ، والكائن الحى إذا استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلما لا يحاول ان يدافع عن نفسه ؛ كى لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

الدكتور سليمان دنيا
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

رسالة وجوابها

بين إمام الشيعة وإمام أهل السنة

صدر عن جامعة (مدينة العلم) بالكاظمية فى العراق رسالة لسماحة الإمام الخالصى الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهنئ فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليه مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأى سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتى الإمامين فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين مما علق به من شوائب البدع والأباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

الرسالة

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهـــر .

أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فقد بلغنى خبر جلوسكم على أريكة إدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم فى بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فى هذه الآية تقرير لمبدأ محاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير ممكن ، للعقل؟

وكلمة أخيرة أسوقها بين يدى أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحى ، والكائن الحى إذا استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلما لا يحاول ان يدافع عن نفسه ؛ كى لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

الدكتور سليمان دنيا
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

وانتظار ما سوف تقومون به من الإصلاح الشامل العميم في الأزهر وفي جميع الديار ، ولم أكن بين أولئك الناس ، لأني أرى في شخصكم منزلة تسمو على تلك الأريكة وتعلو . ويجدر أن أبارك للأزهر بكم لا لكم به ، وكنت أشاركهم في انتظار الإصلاحات الشاملة لأتقدم إليكم بالشكر ، وتقدير مساعيكم الجميلة ، وما زلت في الانتظار حتى قرطت سمعي إذاعة صوت العرب بدرر منثورة من كلماتكم في توحيد كلمة المسلمين ، وإظهاركم الحق باتباع الكتاب والسنة بنفسيهما ، لا بما يقوله الرجال عنهما ، ومن وراء ذلك تمام الكلمة ، وائتلاف الفرقة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصفوف تحت راية التوحيد الخالص ، والإسلام الصحيح المنزه عن شائبة البدع والأوهام ؛ حتى يظهره الله على الدين كله ، ويزيل عن العالم ما حدث من اضطراب في الآراء والأفكار المؤدي إلى البوار والدمار . وهيهات أن تقوم للعالم إدارة أو يحصل له استقرار إلا بالإسلام ، ويغنيني عن الاستدلال وبسط المقال عليكم بالخان ، ومن الضروري لنا ولجامعتنا أن نقف على آرائكم في الوصول إلى توحيد كلمة المسلمين ، وإظهار الإسلام بحقيقته مجرداً عن كل بدعة وخرافة ، لنسترشد بآرائكم ونسير معكم في طريق واحدة عسى أن يكون ذلك معينا على سرعة الوصول إلى الغاية المقصودة وهي معرفة الإسلام كما هو . وإظهاره لأهل العالم على اختلاف شعوبهم ومللهم ونحلهم كي يكون لهم ملجأ ومنجى من المهلكات والبوائق التي تهدد أهل العالم بالفناء . وأسأل الله تعالى أن يرينا الإسلام كما أرسل ، والقرآن كما أنزل ، ويوفقنا لإزالة الأستار الكثيفة عنه ، لتظهر أنواره المشعة ويخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ولو كره الملحدون والمشركون والغافلون المبعدون .

وإني منذ رأيتكم في دار المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم (رضي الله عنه) ، عند زيارتي للقاهرة ، كنت أجد في نفسي شعورا بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده ، وقد ظهرت آثار ذلك . وأسأل الله التمام ، وأشكره على الإحسان والإنعام . وأن يديم حياتكم لإنقاذ الأمة وإزالة النعرات الطائفية وجمع الكلمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

٥ شعبان المبارك ١٣٧٨ هـ .

محمد الخالصي

مكتبتنا العربية

الجواب

حضرة الأخ الجليل صاحب السماحة الأستاذ العلامة المجاهد فى سبيل الله الشيخ محمد الخالصى أدام الله توفيقه والنفع به .

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا المؤمنين من تلاميذكم وحواريكم وسائر من تحبون .

أما بعد : فقد تلقيت ببالغ الغبطة كتاب سماحتكم الذى حيتمونى فيه بمناسبة تعيينى شيخاً للجامع الأزهر الشريف ، وتفضلتم بإبداء كريم ارتياحكم وعظيم أملكم وخالص دعائكم بأن يحقق الله للأمة الإسلامية ما نحن مشتركون فى الحرص عليه ، والدعوة إليه من توحيد الكلمة وتأليف القلوب تحت راية القرآن العظيم والسنة المطهرة .

لقد أعاد إلى كتابكم الكريم ذكرى لقائنا الأول فى منزل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم ، وما كان لكم من حديث عذب يفيض إيماناً وغيرة على الإسلام والمسلمين ، وإنكم يومئذ كنتم فى جولة إسلامية ودعوة إصلاحية تريدون بها أن تجمعوا المسلمين فى طائفتيهم العظيمتين : السنة والشيعة على ميثاق واحد ، يعرفون أصوله التى هى أصول الإسلام فيتعاهدون عليها ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما وراءها على أن يكون الروح بينهم جميعاً هو روح الأخوة التى قررها الله تعالى فى كتابه الكريم حقيقة ثابتة حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

إن هذه الآية الكريمة يا سيدى الأخ ترسم للمؤمنين خطة الفلاح لو عملوا بها ، فهى كما لا يخفى عليكم تثبت الأخوة بين المؤمنين إثبات الحقائق ، ولا توردها مورد الأمر يؤمر به ، وينهى عن التفريط فيه ، كما هو الشأن فى مختلف الأوامر والنواهى التشريعية . فينبغى أن يدرك المؤمنون ذلك ، ويعلموا أنهم إخوة وإن باعدت بينهم الأيام ، أو قطعت بينهم السياسة المماكرة ، فتلك حقيقة ثابتة والحقائق لا تمحى ولو طال على نسيانها الأمد ، وهى تدعو بثباتها إلى نفسها وتنتظر ممن تجافوها أو أغضوا عنها لعارض من عوارض الدهر أن يعودوا إليها .

ثم تعقب الآية الكريمة على هذه الحقيقة بما هو ألزم مقتضياتها من وجوب الإصلاح بين الأخوين إصلاحا عاما شاملا مبنياً على دعائم هذه الأخوة ، منبثقا من عاطفتها القوية ، وتدعو إلى تقوى الله تعالى فى ذلك ولا شك أن التقوى تلزم أصحابها بأن يكونوا مخلصين فى تحقيق واجب الإصلاح ، عاملين عليه بكل ما يستطيعون من قوة ، فإذا وجدت

مكتبتنا العربية

الرغبة فى الإصلاح ، واقترنت بتقوى الله وارتسام أوامره ونواهيه وصراطه المستقيم إخلاصا فى تحقيقها ، وسبيلا إلى تدعيمها كانت رحمة الله تعالى مرجوة أن تنال المؤمنين فإن رحمة الله قريب من المحسنين .

تلك يا أخى فى الله هى غايتنا ، أما وسيلتنا إليها فبث الدعوة إليها ، عن طريق العلم الخالص المنصف الذى لا يعرف التعصب ولا يرمى إلى الفلج بالمجادلة والمخاصمة ، وتلوين الحقائق بغير ألوانها ، إن من أعز أمانينا أن يتعارف المسلمون ؛ لأنهم إذا تعارفوا تكاشفوا ، وإذا تكاشفوا تواصفوا الداء ، وبحثوا عن الدواء وما الدواء لو علموا إلا الالتفاف حول كتاب ربهم ، والاهتداء بسنة رسولهم ، والاطلاع على أقوى صورة بالأمانة التى حملوها : أن يكونوا فى العالم أمة داعية إلى الخير ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر وأولئك هم المفلحون . لا أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم .

وأسأل الله لى ولك ولجميع إخواننا المؤمنين أن يجعلنا من عباده المتقين ، حتى نستحق أن نكون أولياءه « إن أولياؤه إلا المتقون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً فى

٢٠ من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ

٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ م

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

قال ابن المقفع :

على العاقل ألا يصاحب من الناس إلا ذا فضل فى العلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالمرافقة والمواظبة ، وليس لناقل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته . ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

مكتبتنا العربية

ما يقال عنه المسلمين والعرب

دور من أدوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس الإسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض وتحليل لكتاب « الأندلس ، أو أسبانيا في ظل المسلمين » الذي صدر سنة ١٩٥٨ لمؤلفه الأستاذ « أدوين هول »

أعجب من زوال دولة الإسلام في الأندلس بقاء آثارها سارية حتى اليوم في كل ناحية من نواحي الحضارة الأوربية ، ويكفي أن نذكر من آثارها قيام دعوة الإنسانيين منذ القرن الثاني عشر للميلاد ، ثم قيام دعوة النهضة ودعوة الإصلاح الديني وما يليها من الثورات الاجتماعية والسياسية ، لنعلم بعد هذا الإجمال السريع أن آثار الإسلام في الأندلس قد أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة الغربية الحديثة .

وقد كان للمؤرخين الأوربيين مواقف مختلفة ، متناقضة ، في تقدير تلك الآثار بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين والإكبار .

كان موقف العداء والمحاربة أسبق تلك المواقف في عصر « التعصب الديني » من بقايا القرون الوسطى . فكان القائمون على ثقافة الغرب يتبعون خطة « الإخفاء والطمس » لمصادرة العلوم الإسلامية ، ويتعمدون مطاردتها وإبعادها ، وإن شهدوا بفضلها واعترفوا بمحاسنها ، لأنها مصدر قوة للإسلام وآية من آيات « سحره » الذي يجتذب إليه قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى ببقاياها فجاء بعدها عصر الكشف والتنقيب عن المجهولات في كل باب من أبواب المعرفة الإنسانية ، فانكشفت في هذا العصر مفاخر الحضارة الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان للحضارة الأندلسية نصيبها الأوفر من عناية القوم لاتصالها بمواطنهم في صميم القارة الأوربية ، وهنا تفرقت مواقف المؤرخين والنقاد من الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو تفرق النظرات والآراء :

مكتبتنا العربية

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال النزاع بين الكنيسة والمنشقين عليها وينتصر لمن ناصرتهم الكنيسة واصطفتهم ، وفى مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون بالثقافة الإسلامية ، ولابد - مع الدفاع عن هؤلاء - من الدفاع عن فلاسفة الإسلام وعلمائه وقادة الفكر والمعرفة فى بلاده .

ومنهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع التاريخى من خلال النزاع على حقوق السلطة القائمة فيتخذ من المواقف ما يناسب هواه : إن كان من أعوان السلطة فهو من المحافظين الجامدين ، وإن كان من أعوان الحرية فهو فى الجانب المقابل للمحافظة والجمود .

ومنهم من كان يعمل لحساب الاستعمار السياسى فهو ينكر فضائل الإسلام أو يشهد لها الشهادة التى تقف عند حدود الماضى ولا تتعداها إلى الحاضر الذى غلبت فيه سيادة المستعمرين . فلا حرج عنده من الشهادة للإسلام بالعظمة التى صلحت فى زمانها لتعظيم قومها ، ولكنها ذهبت مع زمانها فهى الآن فى خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تغيرت هذه المواقف جميعا وخلفتها مواقف أخرى أقرب إلى الإنصاف والاستقلال النظرى ، لأنها تصدر عن بواعث « عامة » يقل فيها التوجيه والإملاء ويستهم أصحابها مطالب النشر ورغبات القراء ويجرون مع العصر فى مجراه الغالب عليه ، وهو « النزعة العالمية » التى تؤثر الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها وتتوسع فى طلب الأخبار والمعلومات من جميع المصادر والجهات .

فالذين يكتبون اليوم عن الأندلس الإسلامية يجمعون بين النزعة العالمية ونزعة « الهواية الشخصية » ، ولا ينسون مطالب النشر التى تتحرى ميول القراء ولا تقوم على التوجيه والإملاء من جانب الدول ، أو جانب الهيئات التى تشبهها فى اصطناع الدعاية .

* * *

من أحدث المؤلفات التى ظهرت فى هذا الدور - سنة ١٩٥٨ م - كتاب « الأندلس أو أسبانيا فى ظل المسلمين » لمؤلفه الأستاذ أدوين هول Edwin Hole المستشرق المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا والبلقان ، ثم اغتنم فرصة العمل فى وكالة « ملقة » القنصلية فعكف على دراسة الحضارة الأندلسية من قريب ، وقضى فى هذه الدراسة زهاء خمس سنوات ، خرج منها بهذا الكتاب الموجز الذى يقع فى نحو مائتى صفحة ويشتمل على أحدث الأقوال والآراء فى تاريخ هذه الحضارة ، وجملة ما يقال

مكتبتنا العربية

عن أقواله وآرائه ان الرجل أنصف حضارة الأندلس الإسلامية فيما فهمه وتأتى له أن يحكم عليه . ولكنه جهل منها بعض جوانبها - ولا سيما جانب الشعر والأدب - فأحال فيه التبعة على غيره وبلغ بذلك غاية ما يستطيعه جاهل الشيء من إنصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام فى الأندلس ان الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق فى ترقية العقول والأذواق ، وإن ولاة الأمر فيها كانوا يعدون عدو الجياد حيث سار اللاحقون بهم فى خطوهم الهزيل ، فيتعثرون وهم يدرجون .

فى كلمة « الكتاب » تتلخص المعجزة التى صنعتها الدولة الإسلامية فى القارة الأوربية . قال المؤلف عن مكتبة الخليفة « الحكم » إن عدد كتبها ومجاميعها قدر بنحو أربعمائة ألف كتاب ومجموعة . وقد حاول الملك الفرنسى شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبته فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستمائة منها تبحث فى اللاهوت .

وقد تجاوبت آفاق القارة الأوربية من مشرقها إلى مغربها بسمعة الخلفاء المسلمين فى طلب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمدونات النادرة ، فكان « الكتاب » أعز الهدايا التى يخطب بها ود الخليفة بين ملوك القارة وأمرائها . وكانت السفارة الناجحة فى بلاط قرطبة سفارة الملك الذى يزود رسوله بتحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف فى سياق كلامه عن الكتب : « إن الرغبة فى المعرفة كانت مستفيضة لا حدود لها . وقد حدث أن الامبراطور البيزنطى أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتاب : « ديو سقريدس » فى العقاقير » . . فعهد إلى جامعة الطب بترجمته وحل رموزه ، وكان الحكم ابن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك فى البحث ويبعث بالوفود إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعاملون معاملة السخاء والحفاوة . فأصبحت أسبانيا قطبا قويا يجذب أساطين العلم من كل مكان » .

وظل الكتاب فى المغرب الإسلامى ذخيرة مضنوناً بها على الضياع حتى فى أيام الإدبار والأفول بعد زوال الدولة فى شبه الجزيرة الأندلسية . فلما استولى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب والأمتعة لمولاى زيدان المراكشى فى القرن السابع عشر ، أرسل الأمير يطلب الكتب ولم يحفل بما عداها من حمولة السفينة ، ويقول المؤلف إن المسألة أحيلت على محكمة التفتيش وأرادت هذه المحكمة أن تبدى بعض السماحة فى جوابها على الأمير

مكتبتنا العربية

المغربى ، فقررت أن ترد إليه كتب العلم والجغرافية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الدينية التى قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرفض أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والدينية على السواء ، وتوسط النبيل المستنير المركيز دى فيلادا De Velada عند الملك لإنقاذ هذه الذخيرة ، فأمر الملك بحبسها وإغلاق الأبواب عليها فى مكان حصين » .

ويفيض المؤلف فى استقصاء أخبار المكتبة الأندلسية من مصادرها ، ولكنه يعنى فى شرحه لآثارها وتعاليمها بجانب يقل المعنيون به من المؤرخين الغربيين ، فلا يدع القارئ يفهم من الإفاضة فى ذكر الكتب والمطلعين عليها أن المدرسة الأندلسية مدرسة معقولات ومحفوظات ، فصاراها أن تخرج الفقهاء والحكماء وتحشو أذهانهم بمسائل العلم والأدب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع القارئ يفهم أن المقبلين على المطالعة فى إبان الدولة كانوا من تلك الزمرة التى يطلق عليها الأوربيون اسم « ديدان الأوراق » بل المفهوم من نوادر الكتاب وطرائفه أن الاطلاع على تلك الأوراق قد كان زادا من أزواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإنسانية : حياة الأنس والعاطفة وحياة السلوك المهذب ، والكياسة العملية وما توحيه من آداب المعاشرة الطيبة فى البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات الأوربية . ولعل السياسة التى اشتغل بها المؤلف فى مهام القناصل والرسل المحنكين الذين يتولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء فى أيام الحروب والقلاقل هى التى اتجهت به إلى البحث عن نصيب « الأندلسى المثقف » من مهام « الدبلوماسية » فى تلك العصور المحفوفة بالظلمات والأخطار .

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس مما اطلع عليه المستشرق ليفى بروفنسال أخبار أول سفارة تبودلت بين الإمبراطور البيزنطى تيوفيلوس والخليفة عبد الرحمن الثانى فقال فى فصل العلاقات الخارجية :

« أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظة عبد الرحمن الثانى فذكره بذبح العباسيين لآبائه وأحب أن يرضيه بالزراية من خلفاء بغداد فلم يسمهم بالأسماء التى اشتهروا بها كالمأمون والمعتصم بل نسبهم إلى أمهاتهم من جوارى القصور ... ولكن الزناد لم ينقدح لأن آباء عبد الرحمن نفسه لم يكونوا ممن ينكرون التسرى بالإماء ، فأجابه جوابا مفزعا فى قالب المجاملة مع التحفظ والاحتجاز ، ووكل أمر السفارة إلى الشاعر النابه يحيى ابن الحكم البكرى الذى كان لرشاقته وجماله يلقب بالغزال .. » .

قال المؤلف : « وقوبل الوفد فى القسطنطينية

مكتبتنا العربية

بالحفاوة الملكية ، ولكن الإمبراطور أضمر فى نيته أن يضطر الغزال إلى الانحناء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير فى غرفة العرش لا يدخله القادم قائما . فلما أقبل الغزال جلس عند الباب وتقدم زاحفا حتى بلغ ساحة العرش فنهض على قدميه، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بعرض حافل بالأسلحة والنفائس يريد أن يروع السفير ويهوله ، ولكنه لم يرع ولم يستهول ما رآه بل مضى على أثر وقوفه فى إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصوغات والآنية الفاخرة ، فكان لها أجمل الوقع فى نفس الإمبراطور وكفلت للوفد الأندلسى طيب المقام وحسن الخدمة ، واهتم السفير اهتمامه الخاص بأهل البلد فخير علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الذكية ، وكال الضربات الموفقة لقادتهم وفرسانهم ، وشاع خبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حضرتها ومثل أمامها فسلم منحنيا وأمعن النظر إليها كالمشدوه ، فأمرت الترجمان أن يسألـ[illegible] مرآها ؟ فكان جوابه الحاضر : أنه قد رأى الحسان حافلات بمليكة فلم ير منهن من تضارعها فى جمالها ودار الحديث بعد ذلك على هذه النغمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرجاء الغزال أن تسمح له برؤية الحسان من خواتين المملكة ، فجعل ينظر إليهن من الفروع إلى الأقدام ، ثم قال ليلتى بحكمه المنتظر : إنهن فى الحق لجميلات ، ولكن لا وجه للمقارنة بينهن وبين الملكة التى تتنزه محاسنها وشمائلها عن النظيرات ولا يحسن وصفها غير المجيدين من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف فى قصيد من شعره يتغنى به الأندلسيون، فوثبت الملكة فرحا ومنحته هدية نفيسة من حلاها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنها على نفاستها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنة ما كانت ، بحسب أنها قد وفته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غاية ما فى الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتملى النظر إلى طلعتها ، وأنها إن شاءت أن تضاعف له العطاء فحسبها أن تزيده حظا من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنتظر ما هو أحب إليها من ذلك، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعث إليه بعد انصرافه بالتحف الثمينة من الأنسجة والعطور . . . »

* * *

وليس فى كتابه « الأندلس فى ظل الإسلام » غير القليل مما لم يرد فى المطولات من أخبار الترف والبذخ وظواهر الرغد والرخاء التى اشتهر بها ذلك الفردوس المفقود ، ولكن

مكتبتنا العربية

هـــذا الكتاب الحديث يورد أنباء البذخ والترف ، ويتخللها هنا وهناك بنادرة أو عبرة تنم على إدراك لمعنى الحياة ، موكل بالصفو الرفيع من لذات الروح وأشواق العاطفة الإنسانية ، يتفقـــده الأندلسى المثقف ولو خلصت له متعة الجاه والثراء ، ومسرة الملك والسطوة . . . . فكان عبد الرحمن الناصر « يقيم نفسه مقام الحكم المطاع بين ملوك المسيحية ، ويستقبل فى عزته وعلبائه وفودهم المتنازعة ، كما يستقبل الملوك أنفسهم أحيانا وقد حنوا أعناقهم العصية لمراسم الاستقبال فى بلاط الخـــلافة . ولكنهم وجدوا بين أوراقه بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه الطويل ـ نحو خمسين سنة ـ غير أربعة عشر يوما يعدهما من أيام الصفو التى لا تشوبها سحابة » .

* * *

كانت حضارة متاع ونعمة ، وكانت حضارة عقل وفهم وعاطفة .

كانت حضارة « إنسانية » كاملة ، تلك الحضارة التى وصفها صاحب كتاب « الأندلس فى ظل الإسلام » متوخيا لها الإنصاف غاية ما يستطيعه الكاتب الأوربى المعتز بحضارته العصرية فى القرن العشرين .

أما الذى فاته أن ينصفه من تلك الحضارة فهو الذى فاته أن يفهمه من خيرة المأثورات عنها ، وهو بلاغتها الشعرية الشائقة : بلاغة الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب فى الفصل الذى خصصه للكلام على الشعـــر الأندلسى :

« إن أكثر هذه المنظومات مما لا يطيقه العقل الغربى ، وهو رأى يصرح به الخبراء بتلك المنظومات . ولا نعرف من هو أحق بالحكم عليها من جارسيا جومين garcia gomez الذى يجمع بين الأستاذية فى العلم والذوق المرهف لفهم القريض ، وهو يقول فى فصل عقده للكلام على ابن قزمان أحد الشعراء المتأخرين : إن الصناعة اللفظية هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى ، بين نثر مقيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشباه والطلاوات واللوازم ، تعوزها الحرارة والشعور ، وكأنما هى كلها عرض من العروض المقنعة بالبراقع ، حيث البسمات لآلئ والعيون أزهار بنفسجيات والرياحين جواهر والجداول سيوف . وأن القارئ ليجتهد اجتهاده بين ترجمات بير Peres أو شاك Schack فينوء ذهنه بما يطبق عليه من النسق المتفق المتواتر ! خصور كالأغصان تنثنى من آكام الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذى أثقل ندى الممدوح جناحيه فأعياه أن يطير ، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام العشق فى قلب الشاعر يتوهج من خلل دموعه ،

مكتبتنا العربية

ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب منقولة يحكيها النظامون من وحى الذاكرة . »

وهذا الخطأ الذريع فى الحكم على الشعر العربى شائع غالب على أقوال المستشرقين ، نفهمه ولا نرى صعوبة فى فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب « الحفظ » من الأدب ولا يشتغلون بلباب الأدب فى لغاتهم ولا فى لغات غيرهم من المشارقة أو المغاربة . فهم لايحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم فى تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأمم التى تخالف أممهم فى أمزجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة الرائعة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون « بالربكة » التى يشعر بها عندنا من يقول مثلا : هات الاسطوانة ! فيحضر له السامع قرصا من أقراص الغناء المسجل ، فيختلط عليه الأمر بين ما توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكذلك يشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بذهنه عند مجازات التشبيه فيحسبها مقصودة لذاتها ويتقيد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، فلا يدرى كيف يطرب العربى لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهى - فيما يعلم - من الأمم التى تفخر بلسانها وتتكثر العجمة من ألفاظها ومعانيها .

ولقد كان من أقرب التفسيرات إلينا أن نرجع بأخطاء المستشرقين فى فهم الشعر العربى إلى الفارق الأبدى « المزعوم » بين أذواق الشعراء فى لغاتنا وأذواق الشعراء فى لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقرب ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا يتذوقون شعرهم كما يتذوقون شعرنا ، وأن الفوارق الكلامية لاتحول دون ظهور المعانى الإنسانية لمن يلتمسها فى مواطنها ويتحرى أن يزنها بموازينها وأن ينفذ إلى بواطنها . فليس بين الأذواق الإنسانية من فاصل فى تمييز فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين « الحفظ » والذوق يحول دون الفهم الصحيح فى اللغة الواحدة فضلا عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين « الحفاظ » وبين محاسن الشعر العربى فى ظواهره وخفاياه .

على أن العذر ممهد لمن لايستحسن ؛ لأنه يجهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما اللوم على من يسىء النية قبل أن يسىء الفهم ، فلا يرجى منه إنصاف .

عباس محمود العقاد

مكتبتنا العربية

يارسول الله أنت أنت

للأستاذ محمد على الحومانى

أيهذا البانى وعيت فأحكمت
بناء الأذان فى الآذان
إذ تحسست من وجودك حتى
جلت فى كنهه بغير كيان
وتغلغلت فى النواميس حتى
دان منها لوعيك الخافقان
أنت أسست دولة الفكر فاعتز
بك العلم شامخ البنيان
ومشت حولك الملائك يملو
ن على الدهر سورة الإنسان
وتعالى هتافهم بالتسابيح
عذارى النشيد والألحان

* * *

أنت غذيت كرمة الفن فاهتز
ت دواليه غضة الأفنان
وتراءت منها عناقيد زهراء
المجانى بديعة الألوان
كلما عب طائر الفكر منها
جنحته قوادم العقبان
وتعالى مهيمنا يتلقى
حكمة الكون من أبى الأكوان
ثم أهوى يزق هذى الأناسى
حديث الملائك الربانى
فإذا فوق كل نهد من الأرض
جلال من روعة القرآن
أنت أنطقت هذه المقل الخر
س بما شئت من فنون البيان
فعيون من البصائر يجتز
ن إلى الحق ضلة الأوثان
وعيون من الضمائر تجتاز
إلى الروح عصمة الأبدان
وعيون من السماء يهمن
فيكلأن دفة الربان
وعيون من الثرى يتفجر
ن ، ففى كل جنة عينان
تستمدان من معين أبى القا
سم رى المدله الظمآن
أنت آمنت يوم كانت محاريب
« يهوذا » صفرا من الإيمان

فبعثت الإسلام مخضوضرانوا
دى نقى الجيوب والأردان
وترامى إليك من كل فج
كل ظمأى قريحة الأجفان
فأغثت النفوس حتى روت وا
ردها جنة بلا رضوان
ومسحت الجفون حتى رأت خا
لقها مقلة بلا إنسان
فإذا أنت قائل بالغ الحجة
فى قوله بغير لسان

* * *

أنت يا واضع الموازين بالقسـ
ـط لنا أنت سر كل اتزان
علمتنا صراحة فيك أن نصـ
لح بين الضمير والإعلان
علمتنا أن السياسة قلب
ولسان صنوان متحدان
إن من جرد السياسة فى النا
س عن الدين لج فى البهتان
إن زعم الغبى : لادين للسيا
ـسة فينا ضرب من الهذيان
أى نقص فى ساسة المثل العليا
بما يشرعون من أديان ؟ ؟

* * *

أنت جاهرت بالحقيقة ، والبا
غى على الحق ثائر البركان
فتنادت عوالم الأرض لبيـ
ـك وثابوا إليك بالإذعان
وتداعى لديك إيوان كسرى
وهوى عنه صاحب الإيوان
بم كنت المؤمل الفرد فى الخلـ
ـق وكنت المهيمن الروحانى ؟ ؟
أسوى أن بين جنبيك عينـ
ـين يرى الكون بعض ماتريان
تبصران الحياة أبهاء كسرى
تتداعى على يدى سلمان ؟ ؟

* * *

أنت آثرت أن تقيم على الفقر
دعام الرقى والعمران
فلبست الأيام لم تزه بالمعـ
ـطف من خزها ولا الطيلسان
ولمست الحصى فتاه على الدر
وأزرى بروعة المرجان
وآثرت الهيجاء تعصف بالفر
سان وتجتاح هيكل الرومان
فترامى إليك بالنصر من بيدا
ئه كل جائع عريان
فإذا أنت بالجياع تدك الأ
رض من قيصر إلى ساسان
وإذا بالتراث تحت « أبى ذر »
مدلا على « أبى سفيان »

محمد على الحومانى

ما يقال عن الإسلام

الاسلام و نفسية المسلم

islam And The psychology of The musulman

تأليف

أندريه سرفييه andre Servier

٢٧١٠ صفحة من الحجم المتوسط

عرض له وتعليق عليه

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

صدر الكتاب فى عام ١٩٢٢ ، وظهرت الترجمة الإنجليزية عام ١٩٢٤ ، وهذه الترجمة الإنجليزية هى التى نرجع إليها فى عرض الكتاب . وصدرت الترجمة الإنجليزية بمقدمة قصيرة من قلم لويس برنارد lowis Bernard . ويقع الكتاب فى ستة عشر فصلا .

* * *

الغرض الذى يهدف إليه المؤلف قد صرح به فى الفصل الأول ، حيث يقول إن فرنسا دولة إسلامية كبيرة Muhammddan power حيث إنها تحكم أكثر من عشرين مليونا من المسلمين ، غير أن هذه الملايين العشرين متحدون بتضامنهم الدينى مع كتلة متينة مكونة من ٣٥٠ مليون مسلم من أتباع الرسول ويوافقه لويس برنارد ، كاتب المقدمة ، على هذا الرأى، إذ يقول : إن الغرض من الكتاب « خدمة قضية فرنسا فى شمال إفريقيا » . ويضيف بعد ذلك لويس برنارد : « أن الشىء الوحيد الذى أبدعه العرب هو دينهم وهذا الدين هو العقبة الرئيسية بينهم وبيننا . وفى سبيل حسن التفاهم مع رعايانا المسلمين ، ينبغى علينا أن نتجنب بكياسة أى شىء قد يؤدى إلى تقوية عصبيتهم الدينية . . . .

بمعنى آخر ، وبلغة أكثر صراحة ، إن الطريق لخدمة الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقية هو هدم الإسلام الذى يقف عقبة فى سبيل

مكتبتنا العربية

تحقيق أغراض المستعمرين . وليس هذا فحسب بل إنه يقف عقبة فى سبيل الاستعمار الأوربى على جميع الشعوب الإسلامية .

ومن أجل ذلك شرع المؤلف يبحث فى الأساليب التى تجعل المسلمين متماسكين فيما بينهم و تدفع بهم إلى مكافحة الاستعمار . ورأى أن البحث المجدى ينبغى أن ينصرف إلى تحليل نفسية المسلم .

فالإسلام دين وأمة Country وإذا كانت الأمة الإسلامية لم تفلح فى تهديد الإنسانية حتى الآن ، فذلك يرجع إلى سقوطه فى هاوية من التأخر والانحلال يجعلها من المستحيل أن تناضل قوى العلم وتقدمه فى العالم الغربى (ص ٢) .

وعلى الرغم من جمود الإسلام ، فإن قبضته القوية على عقول المسلمين أدت إلى الشلل العقلى الذى يصاب به المسلمون ، وإلى انحطاط عقليتهم . ومع ذلك فلا يزال الإسلام مؤثرا فى العالم والدليل على ذلك إسلام ملايين كثيرة أخيرا فى الصين والتركستان والملايو وإفريقية. ولكن القساوسة يقاومون هذا التيار فى إفريقية بنجاح

من أجل ذلك يجب دراسة الإسلام دراسة بصيرة ، لا لوضع سياسة تواجه المسلمين فى المستعمرات الإفريقية فقط ، بل فى جميع أنحاء العالم الإسلامى . وذلك بمعرفة عقلية المسلم ونفسيته . فالمسلم ليس شخصا منعزلا يقف عند حدود الأرض التى يعيش فوقها ، إذ أن المسلمين هم أولا مواطنون مسلمون ، ويهتمون أخلاقيا ودينيا وفكريا إلى العالم الإسلامى ، وعاصمته مكة وحاكمه - نظريا - أمير المؤمنين . (ص ٣) .

لقد نسجت هذه العقلية على مر الزمن ، وصيغت ، فى المذهب الدينى للرسول . ولما كان هذا المذهب ليس شيئا آخر سوى إفراز للعقل العربى Secretion of the Arab Brain فينبغى دراسة التاريخ العربى لفهم العالم الإسلامى .

والعرب أعداء الحضارة . وما اكتسبوه فى ظل الأمويين والعباسيين إنما يرجع إلى نقل علوم اليونان والرومان ، وبفضل المواطنين غير العرب الذين كانوا يعيشون فى ظل الإسلام ، أو دخلوا الإسلام حديثا ، ولقد فقد السوريون والمصريون والبربر بعد إسلامهم ما كان لهم من نشاط وذكاء تحت حكم الإغريق والرومان (ص ٥) .

فكيف فقد العرب أنفسهم - وهم الذين حاربوا الغرب فى العصور الوسطى العلم والفلسفة - كل ما كان لهم من بريق ، وانزووا فى غيابات الجهل ؟

الجواب عن ذلك هو نفسية المسلم ، والدين الذى يعتنقه ، مما أصابه بالشلل والجمود ،

مكتبتنا العربية

حيث كان هـذا الدين يسيطر على كل شيء في الحياة .

ومع ذلك فكل ما نقل عن العرب في العصر الوسيط ، لم يكن إلا ترجمة كتبت بحروف عربية لفلسفة اليونان الإسكندرانية . وبعد فليس هناك حضارة عربية ، وإنما هنـاك حضارة يونانية ، أو رومانية . أما فتوحات العرب وانتصاراتهم الباهرة ، فلا تدل على شيء ، كما لا يدل انتصار المغول تحت راية جنكيز خان .

ثم إن العربي لا خيال له ، بل هو محدود بما يراه بحواسه ويحفظه بذاكرته . فهو عاجز عن تصور ماوراء الحس . (ص ١١)

والدين الإسلامي نفسه ليس مذهبا أصيلا فهو جمع وتلفيق من التقاليد اليونانية والرومانية والتعاليم المسيحية . وعند ما تمثل العربي هذه المادة المختلفة المتباينة ، نزع عقله عنها كل ما فيها من حلية شعرية ، ولم يستطع فهم ما فيها من رمزية وفلسفة ، ثم أخرج منها مذهبا دينيا باردا ، جامدا كأنه نظرية هندسية ، وهي : الله والرسول ، والإنسانية (ص ١٢) .

« والخلاصة (ص ١٣) لقد نقل العرب عن الأمم الأخرى كل شيء : الأدب والفن ، والعلم ، بل الأفكار الدينية . ولقد مرت هذه الثقافات كلها من خلال عقله الضيق ، ولما كان عاجزا عن السمو إلى منزلة التصورات الفلسفية العالية ، فقد مزق وقطع كل شيء . وهذا الأثر المخرب هو الذي يفسر انحطاط الأمم الإسلامية ، وعجزهم عن الانفصال من البربرية . وهو يفسر كذلك الصعوبات التي يواجهها الفرنسيون في شمال إفريقية » .

* * *

في هذا الفصل الأول بيان واضح لخطة الكتاب ، وليست فصوله التالية إلا تدليلا على هذه القواعد العامة التي بسطها المؤلف ، والتي نجملها فيما يأتي :

١ — حاجة الاستعمار إلى فهم نفسية المسلمين للتغلب عليهم .

٢ — تماسك المسلمين جميعا برابطة الإسلام .

٣ — الإسلام إفراز لعقلية العرب .

٤ — عقلية العرب فقيرة ، لاخيال لها ولا ابتكار ، ولا حضارة .

٥ — لا فضل للعرب وللمسلمين على الحضارة مطلقا .

٦ — ينبغي محاربة الإسلام وهدمه ليتسنى التغلب على الشعوب الإسلامية وحكمها بعد ذلك بسهولة .

* * *

الفصل الثاني عرض لعقلية العرب ونفسيتهم ، وأنهم صورة للصحراء التي نشئوا فيها . ونزع عن العرب كل فضيلة ، ونسب اليهم كل رذيلة .

فهم محبون للسلب والنهب ، وسفك الدماء . ونسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأحد أسرى بدر ، حين أمر بقتله وطلب الأسير منه الرحمة « أحمد الله أنه متع عيني برؤية قتلك » . فلما سأله الأسير ومن يرعى أولادي من بعدي ، أجابه الرسول «فليذهبوا إلى النار(ص٢١) .

والحديث واضح الضعف ، وهـــو من تشنيعات المستشرقين للطعن في الرسول ، والطعن في الإسلام (١) .

ولانود أن نشير إلى طعن المؤلف على الرسول الكريم من جهـــة تعدد الزوجات ، واللهفة على النساء ، فهو كلام معروف من المستشرقين. يقول المؤلف إن النبي وهو في الثالثة والخمسين وقـــع في غرام عائشة ، وهي فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها «ص٢٥ . وتعرض المؤلف كذلك لزواجه من زينب ، ليثبت أن العرب جميعا يحبون الانهماك في اللذات الجنسية ، وأن هذه الصفة من صفاتهم الأصيلة المنافية للحضارة .

ومن صفات العرب انعدام الخيال والبساطة وما بساطة الإســـلام إلا انعكاس لعقلية العرب ، على حين أن عقائده مستمدة من الأديان الأخرى: فالوحدانية من الصابئة ، وكذلك الصلاة والصوم في رمضان .

ولسنا ندري كيف يجهل المؤلف أن الصابئة كانوا يعبدون الكواكب الى جانب قولهم بإله واحد . ولكنه التعصب الأعمى ضد الإسلام مما جعله يزيف التاريخ .

وهنا نصل إلى نهاية ما يمكن أن يبلغه الحقد على صاحب الرسالة ، حين يقول إن محمدا كان بدويا من مكة ، ولكنه بدوي منحل .

Mobamet was a Bedowin of mecca' But a debenerate Bedowin.

ص ٤٣ . كان يبكي كالنساء ، وكان عصبيا وكان فقيرا معدما « اضطر إلى الاشتغال برعي الغنم ، فلما شعر بحطة هذه المهنة قبل أن يكون مساعدا لتاجر اقمشة يسمى « سائب » « (١) » Sapi وساقت الصدف سائب ومساعده الجديد الى « حياشا (٢) Hayacha وهي سوق عامة في جنوب مكة حيث تعرف محمد بخديجة التي كانت تتاجر في القوافل . فدخل خدمتها ، أولا كسائق جمل ، ثم كمدير ، ثم « كشريك » ص ٤٦ .

وقد سقنا هذه العبارة بتمامها لنبين جهل المؤلف بالتاريخ ، او تزييفه له إن كان على

---

[١] هو عقبة بن أبي معيط ، وكان من جيران النبي في مكة ، وكان من النفر الذين يؤذون النبي وهو في بيته يصلي ، ولم يسلم قط ، حتى بعد أسره . في السيرة لابن هشام ، عن ابن اسحاق « فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . فمن للصبية يا محمد ؟ قال النار — السيرة حـ ٢ ص٢٩٨ .

[١] لعله يريد عمار بن ياسر .

[٢] لعله يريد الحزورة .

مكتبتنا العربية

علم به ، ثم محاولته الطعن فى شخصية الرسول واتهامه إياه بالوصولية ، ونفى صفة النبوة عنه ، وصفة « الرجولة » ، وكل ذلك لتحويل أنظار المسلمين عنه . ونحن نعلم صبر الرسول على أذى المشركين ، ومشاركته فى الغزوات ، وشجاعته غير أن المؤلف يقول عنه إنه كان « يتهاوى فى ساحة القتال ، وإن بعض العرب رآه يبكى كالنساء . وجملة القول إن قريشا كانت تنظر إليه على أنه شخص أدنى منهم » ص ٤٧ »

They looked upon him asan inferior being

أما نزول الوحى ، فالمؤلف يرجعه إلى أحلام محمد وأوهامه وخيالاته وإلى مزاجه العصبى وإلى النوبات التى تصيب فى الغالب أهل المناطق الحارة ، وإلى حالة من التهويم ، حين يكون الإنسان بين النوم واليقظة half-sleep تفضى به إلى الأحلام وإلى رؤية الرؤى . ص ٤٩ .

* * *

ومن البديهى وقد طعن المؤلف فى محمد ، أن يمتد طعنه إلى القرآن وإلى الإسلام . وقد سبق أن ذكر ذلك إجمالا ، وفى الفصل الخامس يذكره تفصيلا . « فالإسلام هو المسيحية وقد اصطنعتها العقلية العربية ، أو بوجه أكثر دقة ، هو كل ما استطاع عقل « البدوى » (يريد الرسول عليه الصلاة والسلام) الخالى من الخيال أن يتمثله من العقائد المسيحية . ص ٦١ .

ولم يهتم محمد بالأخلاق ، بل كان اهتمامه الأول بالسياسة . فقد كان رئيس حزب يكافح لغرض سلطانه ، واعتمد فى الوصول إلى أغراضه على القوة Force ص ٦٤ .

ولما كان المؤلف يكرر الفكرة ويعيدها خلال الكتاب ، فقد نسى أو تناسى أن الإسلام لم يكن الذى انتشر أولا بقوة السلاح ، بل بالدعوة والإقناع . جاء فى القرآن الكريم . « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . ونسى أن انتشار الإسلام فى أمم كثيرة ، حتى فى الوقت الحاضر ، لم يعتمد أبدا على السيف ، مثل إسلام أندونيسيا والصين ، وكثيرين من أهل إفريقية ، وذلك لأن الإسلام هو دين الحق ، وهو أكثر الأديان موافقة للعقل ، وأكثرها دعوة إلى الفضيلة والعدل والأخلاق الكريمة . وهل يمكن أن يدوم الإسلام هذه القرون الطويلة لو لا أنه يدعو إلى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالفرد .

وهذا خلاف ما يقوله المؤلف : « ليس الإسلام فى ذاته مذهبا يدعو إلى تكميل الفرد ، وإنما هو مذهب يدعو إلى الانضمام مع أولئك الذين يعترفون بمحمد على أنه رسول الله « ص ٦٥ » وبذلك نزع عن الإسلام كل فضل .

مكتبتنا العربية

ويبدو أن السر فى حقد المؤلف على الإسلام هو فشل المبشرين من المسيحيين الذين يبذلون غاية جهدهم فى نشر المسيحية بين زنوج إفريقية ، بإزاء القوة الساحقة للإسلام بغير تبشير . وهو يزعم أن المسلمين فى أوغندا ، وفكتوريا نيانزا اتبعوا أسلوبا فى الدعاية (البروباجندا) يفصح عن الروح الحقيقية للإسلام ، أى ملاطفة شهوات الشر عند الزنوج ص ٦٥ .

يقول المؤلف (ص . ٧) إن محمدا باعتباره سياسيا محنكا ، أراد أن يرضى كل إنسان ، فلم يفرض لإسلامه سوى شرطين ، الاعتراف بالإسلام والإقرار برسالته . وغاب عن بال المؤلف أن أبا بكر حارب المرتدين الذين قبلوا الإسلام وأقروا بنبوة محمد ، ولكنهم رفضوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . حاربهم لأن « الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

وفى هذه الآية ما يرد به على المؤلف فيما زعمه من أن الإسلام ليس دين أخلاق ، بل دين سياسة فقط .

ثم يقول بعد ذلك إن هم الرسول أن يضم الأتباع تحت لوائه وذلك بأمرين : الأول نشر روح التضامن بين المسلمين ، والثانى تحريمه الاستشهاد . ص ٧١ — ٧٢ .

أما الأمر الأول فصحيح ، وهو راجع لا إلى الأسباب التى توهمها المؤلف بل إلى صدق العقيدة الإسلامية وتهذيبها للنفوس وتصفيتها لها . أما الأمر الثانى ، فيخالف كل ما عرفه التاريخ عن المسلمين ، فإن روح الاستشهاد Martyrdom فى سبيل الإسلام ، هى العلة الحقيقية فى انتشاره وبخاصة فى الصدر الأول . يريد المؤلف أن يرمى المسلمين بالجبن .

وإذ قد نزع المؤلف عن الإسلام كل فضل ، فهو يقول : « إنه من الخطأ البين الزعم بأن الإسلام قد اتخذ طريقه إلى عقول الناس منجذبين اليه بسحر عقائده » (ص ٨١) يريد أن يقول إنه فرض بالحرب والقتال ، وذلك بصدد الحديث عن هزيمة الفرس والروم أيام أبى بكر وعمر . وهنا يظهر جليا التناقض فى كلامه ، إذ كيف يصف الجيوش العربية بسوء النظام ، والتنظيم ، والتماسك ، ثم تنتصر على الجيوش المجيشة التى تبلغ من العدد عشرة أضعاف ؟ ولقد نسى أنه وصف المسلمين من قبل بالتضامن ، وهو هنا يصفهم بعدم التضامن . ونسى أنه وصفهم بعدم الاستشهاد ، فكيف يحاربون دون أن يموتوا شهداء ؟

أما عرضه للأحداث التاريخية فى زمن الخلفاء الراشدين ، والأمويين والعباسيين ، فإنه يلتمس لها أسبابا تحط من شأن المسلمين ، وترميهم بكل نقيصة . ويصور الحكم الإسلامى أنه صادر عن الفتن .

مكتبتنا العربية

ولا يعنينا كثيراً رأى المؤلف فى العرض التاريخى للأمم الإسلامية ، إذ ليس هذا هو المقصود من الكتاب ، ونلفت إلى ص ١٨٥ حيث يصور عقلية العرب بعد ذلك العرض لتاريخهم السياسى ، ويذكر أسباب انحطاطهم وسقوطهم .

فهناك أسباب عامة : منها أن العرب لم يكونوا أبداً أهل سياسة يستطيعون وضع الأهداف الكبيرة مع الصبر على تحقيقها .

ومنها عجز العربى عن الاختراع ، والتقدم ، فهو ليس مهندساً . بل مقلداً .

ومنها أن العربى ليس إداريا ، ولا منظما ، فهو يحكم بمساعدة الأجانب .

ومنها أنه بربرى لا ينشئ حضارة .

ومنها أن الدين عقبة فى سبيل التقدم .

* * *

وفى ص ١٩٧ ، يؤيد المؤلف نظريته القائلة بأن الإسلام عقبة فى سبيل التقدم فيقول: « أن القرآن مكتوب بلغة ميتة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلا بدراسة خاصة » . وهنا بداية الخطة التى يريد المؤلف أن يعلنها ، أى الطعن فى العرب الذين يتكلمون اللغة العربية ، وفى إسلامهم ، والالتجاء إلى مسلمين لا يتكلمون اللغة العربية ، ومن ثم لا يفهمون القرآن ، وهم الأتراك .

وقد دعا إلى ذلك بصراحة ، بعد تحليل الحركات الوطنية ، وبخاصة فى مصر ، بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وأحمد لطفى السيد ، وأن هذه الحركات الوطنية إنما يرجع السر فى نجاحها إلى التمسك بالإسلام ، وأن هذه الحركات الوطنية تنعكس على المسلمين فى تونس والجزائر ومراكش ، وتسبب للمستعمرين قلقاً شديداً .

فما السبيل إلى إيقاف هذه الحركات فى الدول العربية ؟

السبيل فى نظر المؤلف هو مساعدة تركيا ، اعتبارها قلب الإسلام (فى الوقت الذى كان يكتب فيه هذا الكتاب) . لأن الأتراك « أقل المسلمين إسلاما » . (ص ٢٦٢)

The least Islamized of all Musulmun people.

وفى هذا الفصل الأخير تعاليل للحركات التى نشاهدها اليوم على مسرح الاستعمار الأوربى ، من احتضان الغرب لتركيا ودخولها فى حلف بغداد ، واتفاقها مع إسرائيل ضد العرب .

ولهذا السبب نظن أن الكتاب له أهمية كبيرة تفضح أساليب المستعمرين وخططهم بإزاء العالم الإسلامى كله .

أحمد فؤاد الأهوانى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان ويهنئ المسلمين به

في أول ليلة من شهر رمضان المعظم أذاع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر من [صوت العرب] على العالم الإسلامي هذا الحديث الجامع بصوته المعبر المؤثر وأسلوبه القوى النابض بدأه بقوله .

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد : ففي مطلع هذا الشهر المبارك ، وباسم الإسلام الذى هو دين الوحدة والتوحيد ، ودين العلم والعمل ، ودين العزة والكرامة .

وعلى موجات هذا الصوت الأثيرى الجهير « صوت العرب » صوت الدعوة إلى الحرية والثقة بالنفس ، والإيمان بالعروبة والإسلام .

وبلسان الأزهر الشريف الذى ظل أكثر من ألف عام موردا عذبا للثقافة الإسلامية ، وموئلا حصينا للحرية الفكرية ، والذى يلتقى فيه المسلمون من كل شعب ، ومن كل مذهب ، طلابا للعلم ، روادا للبحث ، إخوانا متعاونين ، لافرق بين شرقى وغربى ، ولا بين عربى وعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ، بجامعة الإسلام يجتمعون ، وبظلال أخوة الإيمان يستظلون ، وإلى حنان أمهم مصر العربية الإسلامية يسكنون ويطمئنون .

فى فيض من هذا كله ، أفتتح « صوت الأزهر » الذى سيوجه إليكم إن شاء الله بين برامج « صوت العرب » كلماته المنبعثة من تعاليم الإسلام الراشدة التى لا هدف لها إلا إسعاد البشر ، والأخذ بأيديهم إلى كل ما يهديهم ويصلح بالهم .

أيها السادة :

إن الصوم ولا شك يوحد بين المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى أوقات النوم واليقظة ، وفى أوقات الأكل والشرب ، وفى أوقات الذكر والتسبيح والعبادة ، وهو يوحد بينهم فى إحياء المراقبة القلبية

مكتبتنا العربية

لله رب العالمين ، فترى المؤمن فيه خاشعا ، قانتا ، مخبتا ، داعيا مستغفرا ، مرتلا لوحيه وقرآنه منيبا إلى ربه ، ثم هو بعد ذلك يصلهم بماضى ذكرياتهم المجيدة - يذكرهم بأن النصر حليف الصبر ، وأن الوحدة رائد الغلب ، حينما يمر بهم السابع عشر من شهر رمضان ، ويذكرون به غزو الحق للباطل فى موقعة بدر التى تركز بها سلطانهم فى جزيرة العرب ، والتى امتد بها سلطان التوحيد حتى أشرقت الجزيرة بنور ربها ، « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وحينما يذكرون أن القرآن الذى جمع كلمتهم ، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل فى رمضان ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيه يذكرون ذلكم الحادث العظيم الذى عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذى منه أخرجوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلكم الحادث هو فتح مكة ، الذى سجله القرآن أبلغ تسجيل ، وجعله سبيلا للمغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحا مبينا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » ، « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما » .

فما أجمل أن يسمع المؤمنون وهم على عتبة هذه الفريضة أن أنيبوا إلى ربكم واعبدوه ، ووحدوا منهاجكم فى الحياة ، لتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وغايتكم المشتركة النبيلة « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وإذا كان رمضان وما وقع فيه من أحداث ، وما نزل فيه من هداية ركزت سلطان الحق ، وزعزعت عروش الباطل ، وزلزلت كيان الضلال والبهتان ، وربطت قلوب الموحدين بالله من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين ، التى أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وهدتهم إلى صراطه المستقيم ، فإن أبلغ الشكر على تلك النعم ما كان من جنسها : هداية وإرشاد وتقى وإيمان ، واعتصام بحبل الله ، وجمع للشمل

مكتبتنا العربية

تحقيق صحفى

قامت به محررة فى جريدة أخبار اليوم لدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، اشتمل على رأى الإسلام فى طائفة من الأمور الاجتماعية والنسائية .

قالت المحررة :

لما عجزت ثلاثة أشهر عن مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أرسلت إليه أقول : أريد أن أعرف إن كان سبب امتناعكم عن مقابلتى هو أننى فتاة ؟ فجاءنى الرد فى اليوم التالى « إن فضيلة الأستاذ الأكبر قرر أن يقابلك ، لكى يثبت لك أنه لا فرق عنده فى المعاملة بين فتى وفتاة » .

قلت لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت : أريد أن أعرف رأى فضيلتكم فى شباب هذا الجيل . . أهو أفضل أم أسوأ من شباب الجيل الماضى . . وما رأيكم فيه من الناحية الأخلاقية .

وأشرق وجه الشيخ شلتوت بابتسامة كلها تسامح . . كلها حب . . كلها رضى ، وقال بصوت لا يرتفع عن الهمس إلا قليلا :

يا ابنتى : إن البشرية فى كل عصر .. وفى كل طبقاتها . . فيها الخبيث الممقوت ، والطيب المحبوب .. وما خلت البشرية من الخبث قط ، وما خلت البشرية من الطيب . قط وعلى العاقل أن يتفقد الخير والشر ، وأن يمحص حياته ويسلك سبيل الهدى والرشاد ، بما يحفظ قيمته ويعلى كرامته . هذا مبدؤنا ولا فرق بين هذا الجيل وغيره فى خضوعه لهذا المبدأ .

قلت لشيخ الأزهر : الدين الإسلامى دين

وتوحيد للكلمة ، وتحل بالصبر والمصابرة والمرابطة .

إلى جميع إخوانى المسلمين أقدم أطيب التحيات ، وأعمق التهانى القلبية ، وأضرع إلى الله أن يتم عليهم نوره ، وأن يكمل لهم وحدتهم حتى يعم خيرها الإنسانية كلها ، وأن ينتفع بهم آخر الإنسانية ـ كما انتفع بأوائلهم أوائلها ـ والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل ، ويوفق قادتنا إلى خير الإسلام والعروبة .

أيها الأخوة .

أحييكم أحييكم ، وأهنيكم أهنيكم ، وأدعوكم إلى كلمة الله ودعوة رسوله النبى الأمين ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

مكتبتنا العربية

يسر ومرونة تتناول التطور مع الزمن فهل يمكننا أن نطوع النصوص الدينية لمقتضيات العصر فيما يتعلق بكثير من الأوضاع الاجتماعية التى أصبح من الصعب تنفيذ نصوص الشريعة بخصوصها تنفيذاً حرفيا ؟

قال : اضرب لى مثلا . .

قلت : مثلا الطريقة التى تلبس بها السيدات فى هذا العصر تختلف كثيراً عن الطريقة التى قررتها الشريعة . والسيدة التى ترتدى ثيابها على الطريقة الإسلامية فى هذه الأيام لابد أن تصادف حرجا ومضايقات فى كل مكان تذهب إليه . . بل إن ذلك قد يمنعها من تلقى العلم أو العمل . . فما هو الحل فى رأيكم للتوفيق بين النصوص الدينية و بين مقتضيات العصر ؟

وهناك مشاكل أخرى مثل العلاقات الاجتماعية التى أصبحت تربط الشبان بالشابات مثل الاختلاط فى الجامعة . وفى العمل وفى الأندية وهناك أيضا مسألة مشاهدة الأفلام السينمائية الغرامية والاستماع إلى الأغانى العاطفية ؟

فرد شيخ الأزهر وفى صوته انفعال :

لا أحب أن أسمع أن الجيل الجديد من الشباب يتطلب كذا ولا بد أن نطوع أحكام الإسلام لمقتضيات هذا الجيل . لأن تطويع أحكام الإسلام لغير الجهة التى حددها خروج بالإسلام عن وضعه وإفساد لتعاليمه . إنما علينا أن نفهمه حق الفهم ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والإسلام على وجه عام يدعو إلى التقدم وإلى النهوض وإلى العزة والكرامة والقوة والمجد . وحسب الشباب من فتيان وفتيات أن يفهموا هذا وأن يعملوا على التحلى به .

قلت : أريد أن أعرف . هل يمنع الإسلام اشتغال المرأة . وإذا لم يكن يمنع فهل هناك أعمال معينة بالذات يحرمها عليها ؟ مثلا . . هناك ضجة فى هذه الأيام بسبب عدم تعيين الفتيات فى السلك الدبلوماسى . فهل يسمح الإسلام بأن تمثل المرأة بلادها فى الخارج . وأن تعيش هناك وحدها بلا رقيب ؟

قال : اسمعى . سأضع لك قاعدة عامة تطبقينها على كل ما يتعلق بأمر المرأة فى هذا الخصوص . فالإسلام يعمل أساساً على حفظ الأخلاق وصيانة الأعراض وعلى ألا تبرز الأنثى بمظاهر الإغراء التى من شأنها إثارة الغرائز . فكل اجتماع لا يتحقق فيه هذا المعنى عمل ممقوت . وكل عمل يفتح على الفتاة أبواب الريب والغرائز البشرية عمل ممقوت . وللفتاة داخل هذا الإطار أن تقوم بما يتعمها ، وبما تحتاج إليه فى معاشها وتنظيم أسرتها وتربية أطفالها حين الزواج ومشاركة مجتمعها . أما الجزئيات فأمرها بعد هذا الأصل هين . ومن السهل أن تعرف كل فتاة ما يحفظ كرامتها ويصون عرضها .

مكتبتنا العربية

قلت : يعنى يجوز للفتاة أن تعمل فى أى مهنة ما دامت تحفظ كرامتها وتصون عرضها ؟

قال : نعم . .

قلت : هل يجوز للفتاة أن تعمل بالوعظ والإرشاد ؟

قال : نعم . .

قلت : وما هو رأيكم فى الوسيلة التى يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التى تجتاح العالم : وما هو السبيل إلى إعادة الإيمان للقلوب التى أصبح يهزها الشك .

قال : هذا سؤال جدير أن تشرئب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير أن يجتمع فى سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم ورجال الحكم . ولا أريد أن يغرس رجال الحكم الإيمان فى القلوب بالقوانين وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم وبأمرهم فى الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا النوافذ التى تفد منها إلى الشباب دواعى الإلحاد . فالعقيدة أسمى ما يملكه الإنسان فى حياته ، والشاب المثمر فى وطنه المكافح هو من قوى إيمانه ، ومن هنا نرى أن بيئات التعليم ملزمة بغرس شجرة الإيمان فى قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وتثمر ، ولا أريد الإيمان التقليدى ، وإنما أريد الإيمان النابع من القلب بلفت الأنظار إلى سنن الله فى الكون ومظاهر قدرته وأفاعيله فى خلقه . وكم لله من آيات فى الأرض والسماء يستطيع المسلمون النابهون المؤمنون أن يغرسوا شجرتها فى قلوب التلاميذ . وهناك جهة أخرى ، وهى أن تعمل الحكومة وجميع معاهد التربية والتعليم على تهيئة الفرص للتلاميذ فى القيام بواجبات الإيمان العملية وأداء الشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم وكل ما من شأنه أن ينمى الإيمان فى القلوب . فالمطلوب أمران علم ومعرفة ، وعمل وتدريب ، وبذلك ينهض الشاب مؤمنا قويا فى قوله وعمله وحياته . . وما دامت دراسة الدين فى مدارسنا ومعاهدنا دراسة شكلية صورية لا تصل إلى القلب ، وما دمنا نسخر من الصلاة ومن المصلين ومن الصوم والصائمين كذلك فمحال أن نصل إلى الهدف ، وهو تقوية الإيمان فى قلوب الشباب . وإذن ستظل أمتنا وشعوبنا تعانى من وجود شباب ورجال يحمل الإيمان فى قلوبهم كما يحب الله ويحب الرسول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » فالمطلوب إيمان يبعد عنه الشك والريب . ولا يفوتنا كبح جماح الصحافة « ولا مؤاخذة » والمجلات التى تعرض صور الإغراء فى إفساد الأخلاق والآراء الشاذة الوافدة إلينا من بور أو من آفاق تضمر لشعوبنا العربية

مكتبتنا العربية

الإسلامية كل الشرور وما هي ببعيدة عنا . . باسم الحرية وما هي بالحرية ، وإنما هي الفوضى الممقوتة والحياة المكذوبة والفجور المنكر . وهذه يدى أمدها لعقلاء الصحفيين وفى مقدمتهم الأستاذ على أمين راجيا أن نتعاهد على إخلاء الطريق للإيمان الحق ليصل إلى قلوب أبنائنا وبناتنا وأسرنا ، فتبنى بذلك أمة قوية لا يفكر الأعداء فى اقتحام أسوارها. ونرجو الله بعد هذا أن يوفقنا جميعا لما يحفظ كياننا ويغرس معانى الاستقرار فى نفوسنا والله المعين والمستعان .

* * *

قلت : يريد الناس أن يعرفوا رأى الإسلام فى محاولة الوصول إلى القمر . . هل هى حلال أم حرام . . وهل هناك فى القرآن الكريم آيات فيها ذكر لهذه المحاولات التى يبذلها الإنسان للوصول إلى الكواكب الأخرى ؟

قال : هذا جانب بشرى تركه الإسلام فى ذاته وفى وسائله للعقل البشرى ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم حث الإسلام بوجه عام على النظر فى الكائنات وعلى البحث فى ملكوت السموات والأرض فى الشمس وآثارها وخسوفها وكسوفها والقمر وآثاره ومحوره ودورانه . وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى . وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية . وأقرب مثال لنا أن القوم فى زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة . وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئا اتجه بعضهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الهلال ما باله يبدو صغيراً ثم يكبر يطلبون كشف هذه الحقيقة الكونية . . فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث فى هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره ، ونرى ذلك فيما يتعلق بشرح الآية الآتية وهى قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها . . . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

* * *

قلت للأستاذ الأكبر : ترى ما هو رأى الدين ورأى فضيلتكم فى الحب ؟

قال فى تجاهل : الحب ألوان متعددة .

مكتبتنا العربية

قلت فى إصرار : أنا أعنى بالحب تلك العاطفة التى تنشأ بين فتى وفتاة .

قال : لو كنت أثق أن الفتيان والفتيات لا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا أن الصحافة لا تتخذ من تصريحات أمثالنا طريقا لدعوتها الخاصة التى تريدها ، لتحدثت معك فى جواب هذا السؤال . ولكنى تعودت من الصحافة أنها تجعل من « الحبة قبة » ، وأن تنسب الرأى الذى تريده إلى الكلمة التى أدلى بها مهما كانت دلالة الكلمة ، فتخرج عن الفائدة المرجوة لنا وللصحيفة ولما نريده للشباب .. فلذلك أرجو إعفائى من الحديث فى هذه المسألة .

قلت : ولكننى أعدك ألا أحرف كلمة واحدة من كلماتك .

قال : لا . . لن أتكلم فى هذا الموضوع . . . إسألينى فى موضوع آخر أكثر جدية .

قلت : إذن . . سيكون سؤالى الأخير جاداً للغاية وهو . . ما رأى فضيلتكم فى الفكرة التى نادى بها على أمين والتى طالب فيها بحماية المرأة المطلقة من الانتظار طويلا والتمسكع على أرصفة المحاكم حتى يحكم لها القضاء بمؤخر الصداق والنفقة ، وذلك عن طريق إصدار قانون يقضى بمنع المأذون من تسليم الزوج ورقة الطلاق إلا إذا تسلم منه إذن بريد بقيمة مؤخر الصداق ، وطالب فيها أيضاً بأن يحدد القانون نسبة معينة من دخل الزوج كنفقة للزوجة والأولاد ، وأنه يطلب من المصلحة أو المؤسسة التى يعمل فيها الزوج المطلق أن تتعهد بأن تدفع هذه النسبة آليا للزوجة المطلقة عند الطلاق ، وبذلك يقل عدد قضايا النفقة المنظورة أمام المحاكم ونحمى الزوجات من استهتار الأزواج ، وعلى الزوج المطلق أو الزوجة المطلقة أن ترفع الأمر إلى القضاء بعد ذلك إذا كان لديه اعتراض على قيمة هذه النسبة المعينة كنفقة .

وسكت شيخ الأزهر قليلا ثم قال : واضح أن هذه الفكرة ترمى إلى هدف معين محدد هو صيانة المطلقة من التردد على أبواب المحاكم التماسا لحقها فى مؤخر الصداق وقد فاتتها الإقامة بالطلاق فى حظيرة الزواج ، وليس من شك فى أن الإسلام يعمل بكل تشريعاته على حفظ كرامة المرأة : متزوجة أو مطلقة ، وهى فكرة بعد هذا لا تمس شرعية الطلاق ولا تمنع الزوج من حقه فى أن يطلق ، وإنما هى مجرد تنظيم يقصد به حفظ حق المستحق كما يقصد به صون كرامة المرأة بعد طلاقها وفوات الإنفاق عليها . والإسلام فى تنظيماته كلها يدور حول محور حفظ الحقوق وحفظ الكرامات للرجال والنساء . وكم من تنظيمات مثل هذا التنظيم تضمنها قانون الأحوال الشخصية « لائحة المحاكم الشرعية » وما كان القصد منها سوى حفظ الحق وتمكين صاحبه منه . فقانون تحديد سن الزواج وعدم سماع الدعوى بالزواج العرفى

مكتبتنا العربية

الذى لم يدون فى وثيقة . . هذان وأمثالها من باب هذا التنظيم الذى يرمى إلى حفظ الحق وحفظ الكرامة . وفى خصوص ضمان راحة المطلقة من جهة المعاش جاءت آيات فى سورة البقرة تحتم مراعاة هذا الجانب بعد الطلاق فمنها قوله تعالى: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف» وليس من شك فى أن هذا التنظيم مما يدخل تحت التسريح بالمعروف ومنها طلب تقديم المتعة للزوجة المطلقة بعد الطلاق وفى ذلك يقول الله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين» والمراد ما تعارف فى أسرة المطلقة «وانظرى كيف عبر عنه بالحق» وكلمة على واعتبره من علامة التقوى والإيمان القوى بعد التعبير عنه باللام (وللمطلقات) فهـذه آيات، وهناك نصوص أخرى كلها صريحة أو توحى بتركيز هذه الفكرة على أصول شرعية قوية، وما علينا إلا أن نفهم كتاب الله وإرشاد رسوله فى تكوين الأسرة وحفظ حقوقها وبذلك تنعم الأسرة وتقوى وتصبح لبنة قوية فى بناء الأمة وكم رأينا من زوجات طلقن وفارقن أزواجهن وهن فقيرات فتشردن، وأخشى أن أقول «بعن واشترين بأغلى الأثمان وأحقر الماديات».

وقمت واقفة بعد أن أخذت من وقت فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أكثر من ساعة . . وعند الباب أتانى صوته الهامس قائلا: عديني يا ابنتى ألا تحرفى شيئا من حديثى.

والتفت إليه: «وحنيت رأسى فى صمت» «وخرجت».

ولعل الأستاذ الأكبر قد علم الآن أننى قد وفيت بوعدى له . . وهل كنت أستطيع أن أخلف وعدا قطعته على نفسى أمام شيخ الإسلام.

حسن شاه

المحررة بصحيفة أخبار اليوم

من حكم الصوم

يروى أنه قيل ليوسف الصديق عليه السلام: لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

وقيل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يضعفك. فأجاب الأحنف: إنى أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

مكتبتنا العربية

موجز الحديث

الذى دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة

سأل السيد السفير عن طبيعة العلاقات بين الإسلام و بين غيره من الأديان الإلهية الأخرى .

فعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله: إن الإسلام لا يرى أن هناك أديانا أخرى تختلف عنه فى الجوهر ؛ لأن دين الله واحد ، جاء من مصدر واحد ، هو المعبود الواحد . و ليس هناك - فى نظر الإسلام - أديان سماوية مختلفه ، وإنما فقط هناك رسالات متعددة ، كان لكل منها ظروف اجتماعية وثقافية وإنسانية خاصة . وهناك رسل عديدون جاء كل منهم استجابة من السماء لعوامل أرضية خاصة، تقلبت على تاريخ البشرية . أما دين الله فواحد وسيبقى كذلك إلى ماشاء الله .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون » .

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . . . » ومن ذلك فى القرآن كثير .

ثم سأل السيد السفير عن العلاقة بين المؤمنين بالله وكيف ينبغى أن تكون لمقاومة المادية فى كل صورها الاعتقادية والفكرية والسياسية.

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر: بأن الموقف بالنسبة للمسلمين فى غاية الوضوح والبساطة . فالإسلام يؤكد فى غير موضع من القرآن وحدة الدين الإلهى ، ويقرر فى أكثر من مناسبة وحدة الإنسانية ، و يدعو إلى الأخوة الصادقة والتراحم ، وينعى على المتفرقين من اليهود والنصارى تنابذهم ، ويحثهم على أن يجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

والقرآن الكريم فى آياته الواضحة ينادى جميع الشعوب والأجناس بقوله « يا أيها الناس » « يا بنى آدم » ويكرر ذلك دائما ، فهو لا يفرق بين جنس جنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما يدعوهم لأب واحد و ينسبهم إلى إنسانية واحدة، تعبد ربا واحدا وتسعى إلى هدف مشترك لسعادة الجميع . وأكثر من هذا يبيح الإسلام

مكتبتنا العربية

زواج المسلم بالكتابية وجعل أحوال ابنه من غير المسلمين ، وهذا كله دليل واضح على مدى فهم الإسلام لمشكلة الإنسانية واتخاذه الخطوات الإيجابية لحلها والتقريب بين المتنافرين ، وبناء مجتمع عالمى قائم على حسن التفاهم والأخوة والمساواة .

وعندئذ قال السيد السفير : إذا كان الأمر كذلك فما هى الوسائل الفعالة لتنفيذ هذه التعاليم الحكيمة للتقريب بين المؤمنين بالله ولصالح الإنسانية ؟ .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : بأن الوسائل الإيجابية ليست فى عقد مؤتمر ولا فى لقاء عابر ، وإنما هى أهم من ذلك وأعمق . ثم ذكر فضيلته أنه أخبر بعض الصحفيين الإيطاليين أنه لا يوافق على فكرة البابا ، فى عقد مؤتمر عالمى لممثلى الأديان ، لبحث وسائل حسن التفاهم والتعاون بينهم ؛ لأن المؤتمرات - أيا كانت طبيعتها - تبدأ بكلام وتنتهى بكلام لا تتبعه نتائج عملية .

وبعد أن ذكر فضيلته الأمثلة على ذلك قال : إن الطريق الإيجابى هو طريق الفكر المستنير والثقافة الرشيدة ، طريق التفاهم المباشر ، وذلك بأن يسعى كل فريق لمعرفة ما عند الفريق الآخر من مبادئ وقيم وتعاليم ، معرفة بصيرة بعيدة عن الهوى . ثم ذكر فضيلته أن المسلمين قد بدأوا فعلا السير فى هذا الاتجاه الموضوعى بما قرره الإسلام أولا من حيث المبدأ أو بما اتخذه الأزهر أخيرا من خطوات عملية نحو تعليم اللغات الأجنبية ، حتى يستطيع طالب الأزهر وخريجه وابن الإسلام أن يتغلغل فى ميادين الثقافة الأجنبية ويفهم ما عند غيره من أفكار وقيم وتجارب تساعده على القرب منهم والتعاون معهم .

وبعد أن أشار فضيلة الأستاذ الأكبر إلى بعض الأمثلة فى هذا الصدد قال : إن على غيرنا أن يسيروا فى اتجاه مماثل فيتعلموا لغتنا ويدرسوا ثقافتنا ويعرفوا ما عندنا من عقائد ومبادئ وقيم حتى يقفوا على حقيقة أمرنا ، وحتى يمكن أن نلتقى معهم فى منتصف الطريق ، ونتعاون على إسعاد البشرية ، والتخفيف من آلام الإنسانية ، ونكون بحق أصحاب رسالات إلهية ومن المؤمنين بالله رب الإنسانية جمعاء .

وما كاد فضيلة الأستاذ الأكبر يفرغ من حديثه حتى قال السيد السفير إنه سعيد بأن كنا قد بدأت فعلا نسير فى هذا الطريق وضرب لذلك مثلا بـ « معهد الدراسات الإسلامية » فى جامعة ما جل بمونتريال ، الذى أنشأه ويشرف عليه شقيق السيد السفير ، والذى يتكون أساتذته وطلابه من مجموعة مختارة من المسلمين والمسيحيين .

ثم استأذن السيد السفير فى السؤال (عن خطر الشيوعية فى البلاد الإسلامية) .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر إن الشيوعية

مكتبتنا العربية

نبات فاسد لا ينمو إلا فى أرض فاسدة وتربة ميتة . وهم مهما تطفلت لا تستطيع أن تعيش فى بلد إسلامى ، لأن الإسلام فيه الشفاء وفيه العلاج . وطريقنا لمقاومة الشيوعية هو طريق الإسلام . ندعو الناس — وقد دعوناهم فعلا إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق تعاليمه فى شتى جوانب الحياة وهى كفيلة لا بإسعاد المسلمين وحدهم ولكن بإسعاد البشرية كلها .

وبعد ذلك سأل السيد السفير عما إذا كان الجيل الحاضر بين المسلمين أكثر تدينا أو أقل من الجيل الماضى مثلا .

وعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن التدين لا يقاس بالأجيال ولا بالسن ولا بالزمان أو المكان ، وإنما هو تنشئة صالحة فى بيئة طيبة تحت قيادة رشيدة مؤمنة . وهذا كله يوجد دائما حيث يكون هناك إسلام صحيح ومسلمون صادقون .

وأخيرا سأل السيد السفير عن الكلمة التى يمكن أن يتوجه بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الأفراد والشعوب لتخفيف أزمة التوتر العالمى .

فقال فضيلته : إننى أدعو أبناء الشعوب الصغيرة المستضعفة ألا يفقدوا ثقتهم بالله ، ولا يضيعوا إيمانهم فيه فهو عادل لا يهمل الظالم وإن أمهله . وعلى هؤلاء أن يلتفوا حول رسالة السماء إذ هى المنقذ الوحيد للبشرية . أما كلمتى إلى قادة الشعوب الكبرى فهى أنى أدعوهم أن يتذكروا دائما أن صواعق العدالة الإلهية أشد تدميرا وفتكا من صواعق الإنسان . وأنهم إن لم يكفوا عن ظلم الشعوب الصغيرة واستعمارها فسيكون مصيرهم مصير قوم نوح وعاد وثمود وما ذلك ببعيد والتاريخ يعيد نفسه والله لا يغفل عن دعوة المظلوم أبد . ستنهض الشعوب الصغيرة وترتقى وتنتقم لنفسها وكرامتها إن لم يسرع قادة الدول الكبرى بتغيير سياستهم ومساعدة الضعفاء على التحرر والإستقلال . إن حل الموقف اليوم فى أيدى الدول الكبرى فهى تستطيع أن تواصل سياسة البطش والظلم والعدوان ولكن ذلك سيكون على حساب الإنسانية كلها لأن الشعوب المظلومة ستنتقم لنفسها يوما ما وتستمر الأزمة ويدوم التوتر . أما إن غيرت الدول الكبرى موقفها واستغلت التقدم العلمى والحضارى فى أغراض سلمية إنسانية فإن الإنسانية ستكون سعيدة هانئة . وآنئذ يسود مبدأ الأسرة الإنسانية الواحدة وهو المبدأ الذى قرره الإسلام كواحد من تعاليمه الخالدة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف تقريبا فشكر السيد السفير فضيلة الأستاذ الأكبر من أعماقه وعبر لفضيلته عن بالغ سروره بهذا الحديث الممتع وتمنى له عاجل الشفاء ودوام الصحة لخدمة الإسلام والسلام والإنسانية .

مكتبتنا العربية

الكلمة التى ألقاها الأستاذ الأكبر

على شباب إفريقيا وآسيا

أبنائى وإخوانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه هى تحية الإسلام تحمل أسمى المعانى التى ننشدها ونسعى إليها ، تحمل السلام وهو هدفنا جميعا وتحمل الرحمة التى ينبغى أن تكون فى قلب كل مؤمن بحقوق الإنسان .

إن الشباب حياة تتفجر منها كل القوى . وأنتم اليوم بتضامنكم واتحادكم وتراصكم واجتماعكم ، لأشد قوة وأعز جانبا وأمضى عزماً وأشد بأساً .

لقد فرق بينكم الاستعمار يا أبناء آسيا وإفريقيا ، وأبى إلا أن يمزق بلادنا وبلادكم ، ويجعلها أجزاء متناثرة . فأبيتم إلا أن تنضووا تحت قوله تعالى « يأيها الذى آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، وتكونوا وحدة ترد سيوفهم إلى نحورهم ويعود بغيهم عليهم .

لقد وحد بين إفريقيا وآسيا كفاح [illegible] وشباب وقوة ، وجهاد فى ميادين الحرية .

والآن وقد تقاربت صفوفكم ، وتضامنت آراؤكم ، ويجمعكم التطلع لمستقبل باسم ، وأيام زاهرة تملى فيها مبادئ السلام ليعيها الذين شربوا من دماء الإنسانية وهم يدعون حمايتها والزود عنها .

أنتم اليوم فى الأزهر الذى تلاقت فى حلقات دروسه الدينية العلمية ، أبناء آسيا وإفريقيا يجمعهم ويكون منهم كتلة متراصة تفهم معانى الحرية ، وتأبى الضيم وتنتصر للمظلوم وترد كيد الظالمين .

الأزهر الذى يسره استقبالكم ، يسره أن يلقى كل منكم أخا من إخوانه فى الجنس والوطن فى الأزهر المعمور .

إننا جميعاً نرجع إلى أصل واحد يجمعنا ويدفعنا إلى التضامن ، التضامن منبع القوى الدافقة ، والقرآن الكريم نادى الناس بما يشعرهم بهذا المعنى فقال « يا بنى آدم » ويأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أيها الشباب .

لقد لبس الاستعمار كل لون يعرض به نفسه ليغزو وحدتكم ويفرق شملكم ، ويضرب بعضكم ببعض ، ولترسخ أقدامه وتدوم حياته فى أوطانكم ، تدخل مرة باسم التضامن ، وباسم التحالف ، ولكنها لغة رديئة لم تعد

مكتبتنا العربية

صالحة . ولا مجدية ، لأننا فى يقظة تتزايد وفى وعى يثب إلى ذرى مجده .

ومرة أخرى لبس ثوب الاقتصاد ودخل به . ولكنه ارتد على عقبيه وانهزم أمام صلابتكم وقوتكم .

احذروا هؤلاء وهؤلاء ، واضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان إذا كنتم قد أظهرتم والحمدلله قوتكم فى الإيمان بحقكم وبرهنتم للعالم على مدى هذه القوة فى الذود عن أوطانكم وعن أرضكم التى جعلها الله لكم ، فلتعمل أيديكم القوية فى البناء والتعمير ، وفى كل ما يعود على البشرية والإنسانية من خير .

وإن الإسلام لملىء بتعاليمه التى تكفل للبشرية جمعاء الخير والسعادة وتضمن لشعوب الأرض والسلام والرخاء .

إن الإسلام لا يضيق صدره بما فيه صلاح الشعوب جميعا وقد صلحت به فى الماضى ووسع كل شئونهم وكل ما يحتاجون فلنصلح به حاضرنا ومستقبلنا .

أحييكم من الأزهر مهد الثقافة وجامعة الأمم الإسلامية والعربية الإفريقية والآسيوية ، وأدعو الله أن يشمل مؤتمركم ثمرته التى يعلق عليها كل محب للسلام أملا كبيرا .

وإن الأزهر ليعاهدكم جميعا على أن يكون فى خدمة شعوب آسيا وإفريقيا يستقبل أبناءهم ويبعث إليهم بالأساتذة وكل متطلع للثقافة يزودهم بكل ما يحتاجون إليه فى التبصير بشئون الإسلام الذى يجمع الجميع إلى هدف واحد هو خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والأزهر يعلن على الملأ أن الإسلام غنى بتعاليمه وآرائه الإصلاحية عن تلك الآراء والمذاهب التى تفد تارة من هنا وتارة من هناك وليس لها من هدف سوى تفريق شملنا وتوهين عزمنا وصرفنا عن قوميتنا التى بها حياتنا ، والتى قيض الله لإحيائها ، وتوجيه قلوبنا إليها ، ذلكم الشاب القوى فى إيمانه وعزيمته ، الصادق فى نيته ، راشد العروبة والإسلام جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

حياكم الله وأدام التوفيق لزعيم النهضة التضامنية والقوة الإخائية وراشد القومية العربية السيد الرئيس جمال عبدالناصر المؤمن بحقوق الإنسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله

الأدب والعلوم

دائرة معارف عربية

من العجيب أن يكون لكل دولة من دول الحضارة دوائر معارف شتى منها الكبير والمتوسط ، ومنها العام والخاص، ولا يكون للتراث العربي على ضخامته وتنوعه دائرة معارف تجمعه وتضمه وتسهل للناس الاطلاع عليه : نعم إن هناك دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون من علماء هولندا وفرنسا وألمانيا وانجلترا ولكنها لم تترجم كاملة إلى اللغة العربية ولقد اهتمت في العهد الأخير وزارة الثقافة والإرشاد بوضع موسوعة عامة تستعين فيها بجميع دوائر المعارف في العالم وعددها ١٧ دائرة في انجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا وستحتشد لها ٤٥٠ رجلا من مديري الجامعات والعلماء والأساتذة من العرب والأجانب ، يضعون الخطط ويعدون البحوث ويختارون المختصين وينفذون المشروع وقد قيل إن الوزارة أرصدت لها من المال مليون جنيه على عشر سنوات وستبدأ العمل فيها قريبا .

بريد المجلة

سيفتح هذا الباب ابتداء من العدد القادم ليتصل منه القراء بالمجلة يسألونها وتجيبهم ، ويستفتونها وتفتيهم وتتيح لهم الفرص ليتعرف بعضهم إلى بعض .

أكثر جامعات العالم

تدرس اللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة ممتازة في جامعات الأمم بعد أن أصبح للعرب صوت مسموع في سياسة العالم . فني الولايات المتحدة ست جامعات تعلم اللغة العربية . وقد جعلت الحكومة الأمريكية معرفة العربية شرطا في شغل المناصب الدبلوماسية في الشرق.

وفي يوغوسلافيا تعلمها جامعات بلغراد وزغرب وسيراجيفو وسكوبلا .

وفي روسيا ثلاث جامعات تدرسها وهي : جامعة موسكو وجامعة لينغراد وجامعة طاوان بطشقند .

وفي الهند تدرس العربية إجباراً في المرحلة الابتدائية واختياراً في المرحلة الإعدادية ،

وفى المرحلة العالية ٢٧ كليه تشتمل على أقسام لدراسة العربية منها كلية عليكرة .

وفى إيطاليا تدرس اللغة العربية فى جامعة روما وفى (معهد الدراسات الشرقية) بها ، وهناك معهد آخر للدراسات العليا الشرقية فى نابلى . ومنذ شهرين أخذت جامعة بالرمو تدرس اللغة العربية وذلك غير المعاهد الشرقية التى تدرسها وتدرس غيرها فى لندن وباريس من قبل .

المنظمة العالمية لحرية الثقافة

فى النصف الأول من هذا العام ستقيم المنظمة العالمية لحرية الثقافة سلسلة من الحلقات الدراسية جعلت لها موضوعا رئيسيا واحدا وهو « التقاليد والتطور » وخصصت ثلاث حلقات لدرس هذا الموضوع فى أوربا : فى رودس وفينا والبندقية .

أما حلقات الشرق الأوسط فهى فى كراتشى عن الإسلام والعالم المعاصر . وفى القاهرة : « الإدارة العامة والكفايات المهنية » وفى بيروت : الأوضاع التشريعية وتجاوبها مع التطورات الحديثة . وفى بغداد : التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الدول العربية . وفى الخرطوم : التقدم القومى والنظم التقليدية . وفى شيراز : مسؤليات رجال الفكر وأوضاعهم فى المجتمع المعاصر .

أما المنظمة العالمية لحرية الثقافة فهى هيئة مستقلة تضم طائفة من أهل الفكر والعلم من الأمم المختلفة وغرضها كما تقول تعزيز التبادل الثقافى وتحرير الفكر على نطاق عالمى .

فى مسابقة الشعر والأغانى

فى عيد الوحدة

أعلن المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عن مسابقة فى الشعر والأغانى ، فتلقى من الشعر مائتى قصيدة ومن الأغانى مائتى أغنية فحصتها لجنة خاصة ثم قدمت تقريرها إلى المجلس ، فأقام حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزين افتتحها السيد وزير التربية والتعليم المركزى بكلمة وجهها إلى الشباب .

ثم قدم السيد يوسف السباعى الشعراء العشرة الأول فألقى كل منهم قصيدته ، وكان الفائز الأول أحمد عبد المجيد الغزالى ، والثانى أحمد مخيمر ، والثالث محمد التهامى . أما الأغانى فقد سقطت كلها من عيون الغربال .

ومن قول الغزالى فى أول قصيدته :

صحا الشرق وانطلق المارد
وهز الورى صوته الراعد
[illegible]
وشع بها فجره العائد
بنى الشرق من يعرب لا تنوا
فقد زحف الجند والقائد

مكتبتنا العربية

لقد شادها وحدة للشعوب
فبورك صانعها الشائد

إن علماء العالم أصبحوا يجدون فى نشاط القاهرة العلمى حافزاً يدعوهم إلى زيارتها ، ويجدون فى إقليم مصر علماء يستحقون أن يقابلوهم ويتناقشوا معهم .

إن ٧٥ عالما زاروا المركز القومى للبحوث بالدقى . . من كل بلاد العالم وفى كل فروع العلم ، وأدهشتهم المعركة التى تدور الآن على أرض الجمهورية بين علمائها وبين مشاكل الزراعة والصحة والهندسة والطب، وأدهشهم التقدم البارع الذى يحرزه العلماء العرب ، فى تخطيط البلاد على أسس علمية ، ولم تعد بلاد العرب ، كما كانوا يعتقدون ، مراكز للجهل والخرافات ، وتماسيح النيل وجمال الأهرام ، وأساطير الصحراء .

ومن أمثلة الذين جاءوا القاهرة . . علماء من روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر وبورما والولايات المتحدة والنمسا واليابان والسويد واستراليا والهند وبولندا ومن الأمم المتحدة واليونسكو .

ومن العلماء العالمة الذين جذبهم مغناطيس القاهرة ، جون مايبيك مدير مركز بحوث ماهوس ، وريتشاردفيويج رئيس جمعية الطبيعة الفنية بألمانيا ، وسير جونيك أستاذ البترول بالجمعية العلمية السوفيتية بالاتحاد السوفيتى ، والدكتور فلاكا بجامعة جراتز بالنمسا ، والدكتور هوايت من منظمة الكمنولث للبحوث العلمية باستراليا . وبيلا لونجيال نائب رئيس جامعة بودابست بالمجر ، والبروفسور ناوتو كامياما رئيس معهد البحوث العلمية بطوكيو باليابان والدكتور إينجا أرفيدسون بمعهد الأرصاد بالسويد ، والبروفسور كريشنان مدير معمل الطبيعة القومى فى نيودلهى بالهند ، والبروفسور ايفبريت هاو أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة وغيرهم كثيرون من علماء العالم ! !

ترجمة القرآن
للغات الإفريقية

تتم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية قريبا . أمضى الإمام محمد أمين بكر فى هذا العمل أربع سنوات . ستساعد الترجمة الأطفال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية على تعلم شعائر الدين . والإمام محمد عميد مدرسة سيمونزتاون الإسلامية .

منبر وكرسى مصحف
لمسجد فى أمريكا

أعدت وزارة الأوقاف منبراً « وكرسى مصحف » لإهدائهما لمعهد « توليد » فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبحث الوزارة

موضوع إيفاد واعظ ومؤذنين لهذا المسجد بناء على مشاورات دارت بين الوزارة والملحق الثقافى الأمريكى .

برامج دينية جديدة

تقدمها الإذاعة فى رمضان

تقدم المراقبة الثقافية فى إذاعة القاهرة مجموعة من البرامج الدينية الجديدة منها « أحسن القصص » ، « ومن بيوت الله » ، « ومجالس وأسمار » .

أما أحسن القصص فمادته مستوحاة من قصص القرآن الكريم . وبرنامج « من بيوت الله » سيتناول موضوعه ما يدور فى بيوت الله من نشاط دينى فى ليالى رمضان المباركة .

أما برنامج « مجالس وأسمار » فسيكون صوراحية للأسمار العربية ، وكذلك الندوات التى كانت تحفل بها مجالس العرب فى أزهى عصور الإسلام وما كان يجرى فى قصور الخلفاء من محاورات أدبية وطرائف وحكم .

بعثات الوعاظ والقراء

للبلاد العربية خلال رمضان

اتفق الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع الأستاذ كمال رفعت وزير الأوقاف بالنيابة على إيفاد بعثات من العلماء والقراء للوعظ والارشاد إلى البلاد العربية والإسلامية لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم .

٨٠ مؤتمراً علمياً

يبدأ انعقادها يوم ٢ مارس

حدد يوم ٢ مارس لبدء عقد ثمانين مؤتمراً لمناقشة التقارير التى أعدتها لجان السياسة العلمية بالمجلس الأعلى للعلوم .

وذلك فى مختلف فروع العلم . وستحدد بعد ذلك السياسة العلمية للبلاد .

هدية من الهند

أهدت حكومة الهند للجمهورية العربية ١٥٠ كتابا فى الأدب والفن قام السفير الهندى بتسليمها إلى ثروت عكاشة وزير الإرشاد التنفيذى . قال السفير : إن هذه الكتب تزيد الروابط بين البلدين ، وقال الوزير إن تنمية الفكر ترفع مستوى الإنسانية . أقيم حفل شاى بهذه المناسبة حضره يوسف السباعى وكبار رجال وزارة الإرشاد .

إجراءات جراحات القلب

بعد تثليج المريض

توصل بعض الأطباء فى جامعة ديوك إلى طريقة جديدة لإجراء الجراحة فى القلب ،

مكتبتنا العربية

بخفض درجة حرارة المريض إلى ما يقرب من الصفر قبل إجراء العملية التى تكون فى هذه الحالة سهلة . إذ تكون الدورة الدموية قد توقفت وكذلك نبض القلب .

لجنة دولية

لدراسة المخطوطات القبطية القديمة

عثر فى أحد الأديرة القديمة بنجع حمادى عام ١٩٤٦ على ١٢ مجلداً من أوراق البردى مكتوبة باللغة القبطية القديمة منذ ١٩٠٠ سنة وقد دل البحث الأولى فيها على أنها تشتمل على مذهب دينى فلسفى كان شائعاً فى الإسكندرية القديمة وفى مصر يومئذ وكان معروفا باسم (الفنوسطية) ومعناها المعرفة ، ثم انتشر مذهبهم فى اللغة العربية باسم (مذهب العارفين بالله) وخلاصة هذا المذهب الاعتقاد بإله واحد تأتى معرفته عن طريق العقل لا عن طريق الإيمان ، وهذه المعرفة كفيلة بتخليص الروح من الآلام وتطهيرها من الآثام .

وهذه هى الفكرة العامة المعروفة عن هذا المذهب حتى الآن ، ولعل هذه المخطوطات تلقى ضوءا على جميع جوانبه فيتضح ويكشف عن حياة الإسكندرية قبل خمسة عشر قرنا .

لذلك اهتم وزير الثقافة بهذه المخطوطات وألف لدراستها لجنة دولية من علماء أوربا وأمريكا وإفريقيا وفدوا إلى القاهرة فى الأسبوع الماضى وسيبحثونها من جهاتها الثلاث : الفلسفية واللغوية والأثرية . ويحاولون الحصول على ما تسرب منها إلى بعض المتاحف والمعاهد الأجنبية .

موسم ثقافى
للجامعة الأزهرية

قرر فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر تنظيم موسم ثقافى يقام كل عام تلقى فيه المحاضرات الثقافية بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية . يلقيها صفوة من رجال الدين والأدب والعلم من الأزهر والجامعة ومجمع اللغة العربية ، وسيحدد موعد الموسم الثقافى الأول متى تم الإعداد له والدعوة إليه .

المرشحون
لجائزة الدولة التقديرية

بلغ عدد المرشحين لجوائز الدوله التقديرية فى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ثمانية : طه حسين وأمين الخولى فى الأدب . ولطفى السيد ، وعبد الواحد وافى ، وعبد الحكيم الرفاعى ، ومحمود كامل فى العلوم الاجتماعية ، وحسن فتحى ومنصور فرج فى الفنون ، ويجب أن يفوز ثلاثة منهم . ومقدار الجائزة لكل فائز ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية .

مكتبتنا العربية

الكتب

كتاب تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

٣١٦ ص . مؤسسة الخانجى بالقاهرة

صدر أخيراً كتاب فى « تاريخ الجامع الأزهر » بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان وكان المؤلف قد أصدر قبل ذلك فى ١٩٤٢ (١٣٦١ هـ) كتابا عن تاريخ الأزهر فى العصر الفاطمى مع تكملة له حتى العصر الحاضر، وذلك لمناسبة حلول عيد الأزهر الألفى يومئذ .

ولكن المؤلف يخرج فى كتابه الجديد من هذا التخصيص الذى قصده فى مؤلفه السابق إلى التعميم ويقدم إلينا تاريخاً شاملا للجامع الأزهر منذ إنشائه فى فاتحة العصر الفاطمى حتى يومنا .

ويشمل الكتاب أربعة عشر فصلا كبيرة تتضمن تاريخ الجامع الشهير فى مختلف العصور والدور التى اضطلع به خلال القرون ، ومختلف الأنظمة الدراسية التى توالت عليه ، ومختلف المواد والعلوم التى كانت تدرس به ، والكتب الدراسية التى كانت متداولة به فى كل عصر . كما يتضمن سير طائفة كبيرة من العلماء الذين تولوا التدريس به فى مختلف العصور ، وطائفة من أعلام العلماء الوافدين عليه من المشرق والمغرب .

ويعنى المؤلف عناية خاصة . فضلا عن تبيان مكانة الأزهر ، ومآثره العلمية على كر العصور ، والدور العظيم الذى لعبه فى تكوين الحركة الفكرية بمصر الإسلامية ، وفى حماية اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولاسيما خلال العصر التركى ، يعنى بإبراز المكانة المرموقة التى كان يشغلها الأزهر فى الحياة العامة ، والدور القومى العظيم الذى اضطلع به فى قيادة الأمة فى مختلف المواقف ، ولا سيما أثناء الاحتلال الفرنسى . ففى هذا الفصل الذى يشغل وحده من الكتاب خمسين صفحة ، تبدو شخصية الأزهر فى القيادة الوطنية والشعبية فى أروع صورها ، ويبدو علماؤه وطلابه على رأس حركة الكفاح القومى ضد المحتلين ، وهى حركة لبث الأزهر يرعاها ويضرم وقودها حتى انتهت بجلاء المحتلين عن البلاد .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن حركة التطور والإصلاح التى مر بها الأزهر فى العصر الأخير وعن نظمه المحدثة حتى يومنا .

كل ذلك بأسلوب جزل تطبعه نزعة علمية واضحة يغلب عليها التحقيق والاستيعاب .

ويختتم الكتاب بطائفة من الوثائق والبيانات والإحصاءات الهامة ، عن أساتذة الجامع وطلابه وميزانيته ومكتبته وأروقته وحاراته ، وعن مدينة البعوث الإسلامية وصلات الأزهر بالعالم الخارجي .

وليس من شك فى أن هذا السفر الجديد الذى يقدمه الأستاذ عنان إلى المكتبة العربية يعتبر أوفى مرجع علمى عن تاريخ الجامع الشهير وعن نظمه ومآثره العلمية .

سلسلة الثقافة الإسلامية

هذه السلسلة الشهرية يصدرها المكتب الفنى للنشر بالقاهرة ، ويشرف عليها الأستاذ محمد عبد الله السمان . وهى تهدف إلى تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة ، لإبراز القيم الإسلامية العظيمة ، وقد اختير للإسهام فيها الأعلام من الكتاب الإسلاميين ، الذين لهم مكانة فى الميدان الفكرى الإسلامى .

وقد صدر منها إلى الآن : سبعة أعداد للأساتذة : الشيخ « أبو زهرة » والدكتور عثمان خليل . والاستاذ الاكبر الشيخ شلتوت ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد البهى ، والدكتور سليمان دنيا ، والدكتور عبد الحليم محمود .

وموضوع الأستاذ « محمد أبو زهرة » عن الوحدة الإسلامية ، فالإسلام كما يرى المؤلف دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية : (وهو كما يقرر الوحدة الدينية يقرر أيضا الوحدة السياسية بين الشعوب التى آمنت به) فقد ربط بين الشعوب التى آمنت به برباط وثيق من الأخوة الإسلامية ، (تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم . وإذا كانت الأهواء قد فرقت شمل الأمة الإسلامية حتى صارت دويلات ، إلا أن مبدأ الوحدة الإسلامية لم تزل له قدسيته) والمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله والتاريخ عن تحقيق مبدأ الوحدة الإسلامية .

وكان موضوع الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بجامعة القاهرة ، عن : « الديمقراطية الإسلامية » ويرى الدكتور أن التراث الإسلامى فى شأن الحكم هو حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة (والمدلول اللفظى للديمقراطية : هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى (حكومة الشعب) . وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على أساسين هما ، الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية ، فإن من الواضح أن للديمقراطية

مكتبتنا العربية

الإسلامية تراثا جليلا فى هذين المجالين ، وقد كانت ولا ريب ـ أحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتدت منذ أمد بعيد ، إلى شتى صور الديمقراطية التى عرفها الإنسان إلى اليوم.

وكان موضوع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن : الإسلام ، والوجود الدولى للمسلمين . . والأستاذ الأكبر يرى أنه قد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث كبرى فى المرحلة الإسلامية الأولى ، هى بمثابة عناصر قوية فى بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم فى تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف فى سيره فيتقيها ، وعوامل القوة فينميها ، والإسلام عقيدة وشريعة ، أقامتا معا بناء عالميا إنسانيا ، للإسهام فى مد البشرية بإشاعات تضىء لها الطريق إلى الخير والحق والجمال .

وإذا كان هذا البناء قد تعرض ـ ولا زال ـ لكثير من العواصف ، فيجب أن يعلم المسلمون أنهم مسئولون عن صيانته ، ويجب أن تكون المبادئ التى اعتنقوها أقوى أسلحتهم ، والمبادئ السليمة القوية ، متى تركزت وآمنت بها القلوب ، وامتلأت بها النفوس ، كانت طاقات كبرى من التضحية والفدائية ، وأصبحت أعز لدى أصحابها من نفوسهم وأموالهم ، ومن كل ما يملكون . .

وكان موضوع الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » .

وقد تناول البحث جانبا مهماً من المشكلة الاقتصادية ، ناقش على ضوء الإسلام أعمال « البورصة » وعمليات القطن ، والأسهم والسندات والتأمين على الحياة .

أما منهج الدكتور فى هذا البحث ، فيتركز فى إيمانه ، بأن الاسلام جاء ليكون دينا عالميا إنسانيا ، ولذا كان لا بد أن يكون فى طبيعة رسالته ما يجعلها حقا صالحة للإنسانية كلها فى كل جيل وعصر ، وبأن رسالة الفقيه تقتضيه فهما عميقا للكتاب والسنة ، وإحاطة بأدلة الأحكام ، ومعرفة بعلل هذه الأحكام ومسالكها . .

وكان موضوع الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة بالأزهر : عن الإسلام والفلسفات المعاصرة .

تحدث الدكتور فى هذا البحث عن ماهية الفلسفة المعاصرة ، وحللها تحليلا دقيقا ، واعتبر أن قيمتها فى جانب العلم والتطور الصناعى ، وليس لها قيمة ما ، جانب الضمير ، الدفع الذاتى للإنسان ، اذ لم تصل بالمجتمع الاشتراكى إلى أن يكون ذا ترابط فعلى واقعى كما لم تصل بالمجتمع الرأسمالى إلى تقليل الهوة بين طغيان الرأسمالية واستغلال من ليسوا أصحاب رءوس الأمـــوال ، أما الفلسفة

مكتبتنا العربية

المعاصرة فى الشرق الآن ، فليست فلسفة أصيلة فيه ولامنبثقة من حاجات وضرورات الحياة ، بل هى فلسفة أوجدها الغرب ودعت إليها ظروفه الخاصة .

أما فلسفة الإسلام ، فهى فلسفة تحررية تقـــدمية ؛ لأن مبادئه هى مبادئ البشرية الفاضلة المهذبة ، ولو كان للإسلام فى حياتنا ما يجب أن يكون ، لكنا فى غنى عن استيراد الفلسفات المعاصرة وتنازعها وصراعها .

وكان موضوع الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة المساعد بكلية أصول الدين : « عن الدين والعقل » ويرى الدكتور أن الدين نظام وثقافة ، وقانون وعمل ، والإسلام قام فى تشريعه على أساس رعاية مصالح الإنسان فى حياته باعتبارها طوره الراهن ، إلى جانب رعاية مصالحـــه فى حياته الآخرة باعتبارها طوره اللاحق ، والدين والعقل يلتقيان دائما فى رحاب الإسلام ، إذا ما فهم العقل على أنه قوة فى الإنسان تكشف له عن الواقع ، لا على أنه الانطلاق المتحرر من كل قيد .

والذين يدرسون الإسلام دراسة واعية ، يؤمنون إيمانا كاملا ، بأنه لايقف فى سبيل نهضة ، ولا يعوق وثبة ، ولا يعرقل حضارة ، والذين تحملهم الغيرة المفرطة على الدين حتى إنهم لايريدون للناس أن يتحركوا إلا إذا صادفوا فى الدين نصا يأذن لهم بالتحرك . هؤلاء يتجاوزون بالدين حدوده التى رسمها الله له . .

أما موضوع الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين فهو عن : أوربا والإسلام . . وهذا البحث جاء نتيجة لما لمسه الدكتور خلال سنواته التى قضاها فى جامعة السوربون من تباين العقليات الغربية نحو الإسلام ، لا سيما العقليات الناضجة التى تضطلع بتدريس مادة تاريخ الأديان بالسربون ، وإذا كان الكتاب قد كتبوا كثيراً فى علاقة الشرق بالمغرب سياسيا ، واقتصاديا ، ولكن التفكير فى صلتهما دينيا لم يسترع عنايتهم إلى الحد المناسب لجلال الموضوع وخطره . ويرى الدكتور أنه من الممكن للإسلام أن يغزو الغرب ؛ فلمنطقه إمكانيات كبرى تؤهله لذلك ، ولكن حين يتوافر الدعاة الذين يتمتعون بآفاق واسعة وثقافات عالية ، وحين تتوافر التسهيلات لترجمة البحوث الإسلامية إلى لغات الغرب لاسيما بحوث الكتاب المنصفين منهم الذين انصفوا الإسلام . ليكون ذلك أدعى لقبوله لديهم .

مكتبتنا العربية

أنباء الأزهر

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية شكر هذا نصها :

تلقيت بخالص التقدير برقيتكم المعربين فيها باسمكم وباسم رجال الأزهر عن أصدق التهانى وأكرم المشاعر بمناسبة العيد القومى ، وإنا لنتوجه إلى الله بقلب مفعم بالرجاء أن يشد أزر العرب والمسلمين حتى ترتفع منارة القومية العربية ويتحقق ما نرجوه لها جميعا من شرف المنزلة ورفع المكانة . ويسرنى أن أكتب إليكم وإلى السادة رجال الأزهر بأجمل الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

جمال عبد الناصر

جامعة شيلى

تمنح الأستاذ الأكبر درجة زميل فخرية

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر الدكتور ماركوس دى باريبار ممثل أكاديمية العلوم السياسية والإدارية بجامعة شيلى وقد جاء الدكتور ليقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر درجة الزمالة الفخرية من الأكاديمية تقديرا لجهود فضيلته العلمية التى يبذلها خدمة للعلم وقصدا لتوجيه الناس إلى المبادئ الإنسانية القويمة التى اشتمل عليها الإسلام الحنيف ، ولقد حيا الدكتور ماركوس فضيلة الأستاذ الأكبر تحية عميقة ملؤها الاحترام والتقدير قائلا : إن تحيتى إليكم إنما هى تحية الأكاديمية الكبرى فى شيلى ، تحية العلم والمعرفة والخبرة وقوة البحث ، إن من ورائى من جامعة شيلى يحييكم أعمق من تحيتى إليكم وأقوى من تقديرى

مكتبتنا العربية

لكم وإنه لشرف عظيم أعطته لى الأكاديمية لأقدم للأستاذ الأكبر عضو شرف لأكاديمية العلوم السياسية والإدارية ، كما كان لى عظيم الشرف فى أن أكلف بأن أكتب بحثا عن الجامعة الأزهرية ينشر فى شيلى ويكون محل دراسة وبحث .

كما سأعد مقالا أنشره فى جريدة ميركيريو التى هى أوسع الصحف الشيلية انتشارا .

وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : يأخى حياك الله وحيا لك ما بذلت من جهد ومشقة إيمانا منك وممن وراءك بحق العلم والعلماء . والجماعات البشرية والأمم والدول تترابط بروابط السياسة والاقتصاد والجنس وروابط أخرى كثيرة ولكن أقوى هذه الروابط كلها وأسماها وأبقاها على الزمن وأوثقها صلة وأكثرها إنتاجا إنما هى روابط العلم .

وإننى لأشكركم وأشكر أعضاء الأكاديمية جميعا على هذا التقدير الشخصى الذى قد يكون من الدوافع التى تدفعنى لمضاعفة الجهد فى البحث والإنتاج بحثا يؤكد أواصر الود بين العلماء على أننى أرفع درجة هذا التقدير إلى درجة أعلى وأسمى من ذلك فأسميه تعاونا واتحادا يبنى جيلا ترفرف عليه رايات السلام ويحفه الإنتاج والرخاء .

إن العلم رحم بين أهله لأنه يوحد الناس جميعا ويربط بين العقل والعلم وكم كنت أتمنى أن نكون أسبق منكم فى البدأ بهذا التواصل وذلك الود الذى يدعم الصلات العلمية ولكنه حظكم جعلكم أسبق فى هذا المضمار الذى يعتبر السبق فيه شرفا لا يعد له شرف .

ثم قال الدكتور : وأنا فخور بأن أكون قنطرة لتوصيل الصلات العلمية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : كل الذين يدعون إلى سلام دائم وأمن مقيم يمدون القناطر بينهم وبين غيرهم والإسلام يدعو إلى السلام والأمن ويقيم وشائج المحبة بين الناس وأنت اليوم قنطرة بين أشخاص ولكنها مع هذا تعتبر صلة وثيقة بين دول وقارات برباط من أقوى الرباط لا تنفصم عراه ولا تفك روابطه .

وتلك ذخيرة نحفظها لجامعة شيلى وهيئاتها العلمية باعتبارها تقديراً للهيئات العلمية ونسجل أن الاختلاف فى الدين لم يمنعها من أن تمد يدها للأزهر حصن الدين المكين واللغة العربية لغة القرآن والسنة .

فقال الدكتور : إننى أشعر بالفخر لأننى سأنقل الكلمات العظيمة والمبادئ السامية التى أدلى بها الأستاذ الأكبر لشيلى والمسلمين جميعاً .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر بلغهم تحياتى وليعلموا أن الإسلام ينظر إلى العلم باعتباره فكرة بقطع النظر عن الدين ، ولقد رفع الله شأن العلماء وأعلى من قدرهم فجعل لهم

مكتبتنا العربية

روحانية خاصة حتى أن القرآن ليذكر العلماء بعد ذكر الله والملائكة ، قال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » . لأنه من الألوهية خلق العالم والعلماء ينظمون الخلق وبهذا يكون الالتقاء عندنا حية خاصة هي الروحية المنظمة .

ويسرني جداً أن تتبادل جمهورية شيلي مع جمهوريتنا العربية المتحدة في عهد البطل الشاب المؤمن القوى رجل السلام جمال عبد الناصر — أن تتبادل الجمهوريتان نواحي العلم والتثقيف كما آمل أن نقدم لهم قريبا ما نؤكد به ودنا العلمي رداً على ما بدءونا به إن شاء الله .

فقال الدكتور ماركوس : إن جالية عربية كبرى في شيلي اختلطت بهم ومنهم العلماء والأطباء والمهندسون ويذكرون الأزهر بأنه الموجه الأول في العالم الإسلامي أفلا ترون فضيلتكم أن تمدوا إليهم يد العون الثقافي ؟

فقال الأستاذ الأكبر : أنت سترى قريبا هذا التبادل وهذا العون ، سترى علماء الأزهر مختلطين بالشيليين ، وقد أدخلت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وستدخل الأسبانية وخاصة لأنه بيننا وبين الأسبانيين وشائج وصلات علمية وثيقة ولو كان في وقتكم سعة لأطلعناكم على بعض الكتب التي تدرس في الأزهر كأثر من آثار أسبانيا ، فالفقهاء الذين ألفوا لهم عندنا إنتاج عظيم والأدباء كذلك ، فالرباط بيننا قوى ومن ثم لا تعجب لقوة الصلة بيننا وبينكم .

فقال الزائر : لكم كنا نود أن نجلس معكم كثيرا ولكن حرصنا على وقتكم يجعلنا نحافظ عليه شاكرين لكم مقدرين لجهودكم والأمل كبير في أن نرى علماء الأزهر في شيلي يوجهون إخوانهم المسلمين وعددهم كثير جداً يتطلعون إليكم وإلى علمكم وتوجيه الأزهر .

وكان يقوم بالترجمة الأستاذ عبد القادر حافظ مدير شئون أمريكا اللاتينية في مصلحة الاستعلامات .

وقد انصرف الزائر شاكراً حسن اللقاء .

تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف

على إحياء شهر رمضان بالبلاد العربية والإسلامية

رغبة في تنسيق العمل بين الجامع الأزهر ووزارة الأوقاف بشأن الوعاظ والقارئين الذين سيذهبون إلى البلاد العربية الإسلامية لإحياء شهر رمضان المبارك تم الاتفاق بين السيد وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر على

مكتبتنا العربية

تكوين لجنة برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر ويمثل الازهر فى هذه اللجنة .

١ — السيد الدكتور محمد البهى
مدير الثقافة الإسلامية

٢ — السيد الأستاذ الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ

ويمثل وزارة الأوقاف :

١ — السيد الأستاذ البهى الخولى
مراقب الشئون الدينية

٢ — السيد الشيخ سيد سابق
مدير الإدارة الثقافية

على أن تختار هذه اللجنة المبعوثين إلى البلادالعربية والإسلامية وأن تضع لهم المنهاج الذى سيسيرون عليه ويعتمد قراراتها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

قرارات

أصدر فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر القرار الآتى تدعيما للوعظ وتمكينا له من أداء مهمته وتنفيذ سياسة فضيلته فى الإصلاح :

أولا : إنشاء مكتب فنى لإدارة الوعظ والإرشاد من بين السادة المفتشين والوعاظ يختص بما يأتى .

(ا) الإشراف على مجلة نور الإسلام ورفع مستواها .

(ب) دراسة التخطيط العام والمفاسد المنتشرة والعادات الممقوته .

(ج) تلقى بحوث السادة المفتشين والوعاظ .

(د) صبغ موضوعات الدعاية للإدارات الثقافية الشعبية والخدمات فى وزارات الثقافة والإرشاد والشئون الاجتماعية والصحة ، والداخلية ، والزراعة ، بصبغة دينية والانتفاع بما لديها من وسائل النشر والدعاية .

(هـ) تتبع ما ينشر فى الكتب والصحف والمجلات والنشرات للرد على ما ينشر من طعون فى الإسلام ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مبادئ سمحة فى العقائد والتشريع .

(و) إخراج دراسات إسلامية سهلة ميسرة لبعض المشكلات والشخصيات .

ثانيا : تكوين لجنة عليا للوعظ العام من بين الوعاظ الممتازين

ثالثا : تكوين لجنة عليا للصالحات .

رابعا : إنشاء دراسة سنوية تلقى فيها سلسلة من المحاضرات على السادة الوعاظ . والوعاظ .

خامسا : إجراء مسابقة تشجيعية للمفتشين والوعاظ .

سادسا : إعداد دفتر تحضير لكل واعظ ، حتى يكون تحت يد المفتشين .

سابعا : يسمح للوعاظ « بعد » إذن وزارة الشئون الاجتماعية بجمع التبرعات لإقامة « مكتب للوعظ والإرشاد

والثقافة الإسلامية في كل عاصمة من عواصم المحافظات والمراكز - على أن يكون لهذه التبرعات صندوق خاص تشرف على حساباته إدارة الحسابات بالأزهر ويكون خاضعا لتفتيش وزارة الشئون الاجتماعية وديوان المحاسبة ، وعلى أن تودع التبرعات في أحد المصارف .

هذا وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بنقل الوعاظ المقيدين على درجات تذكارية إلى درجات أصلية حتى يستفيدوا بذلك من الترقية والعلاوات الدورية في مواعيدها المحددة وضم مدة خدمتهم السابقة كما أمر فضيلته بالكتابة إلى من لم يكن قد استوفى الاجراءات القانونية لتقديمهم إلى إدارة المستخدمين في مدى أسبوع وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم على وجه يحقق المصلحة العامة .

كما أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر قرارا بندب الأستاذ أحمد عبد المعطى نصار المدرس بمعهد القاهرة مديراً لمكتبه .

كما وافق فضيلته على حركة الترقيات الآتية :

إلى الدرجة الأولى الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

وإلى الدرجة الثالثة الأساتذة المدرسين

١ — أحمد أبو العلا حسين
٢ — إبراهيم حسن قنديل
٣ — عبد اللطيف محمود المبابي

والأساتذة المراقبين .

١ — أحمد محمد النحراوي
٢ — بيومي الشوشي
٣ — محمود عطية

وإلى الدرجة الرابعة الأساتذة المدرسين .

١ — حسن شلبي
٢ — أبو زيد سليمان
٣ — عبد العليم محمد شعيب رزق

والأساتذة المراقبين .

١ — محمد محمد بركات سلامة
٢ — أبو العلا طه
٣ — اسماعيل جمال الدين

وإلى الدرجة الخامسة الأساتذة المدرسين .

١ — عبد الحميد محمد على ندا
٢ — عبد المولى عبد العزيز هلول
٣ — محمد أحمد شحاته نوفل

والأساتذة المراقبين .

١ — على اسماعيل محمد اسماعيل
٢ — أحمد محمود أبو حسين
٣ — ابراهيم محمد ابراهيم بدير

وإلى الدرجة الخامسة الكتابية الأساتذة .

١ — السيد حسين سرحان الديب

وإلى الدرجة السادسة الكتابية